سراب

رواية

وليد حسن

وكما يجرى نهر النيل جالبا الخير . .

حاملا الحياة . .

ناثرا الأمل . .

يفتح مركز نهر النيل بابه . .

عله يجرى نهرا من الإبداع . .

تزدهر بفيضه أرض الكلمات . .

لتظل بأشجارها جموع الباحثين

عن كنوز الفكر . .

الكتاب : سراب (رواية)
الكاتب : وليد حسن
الناشر: مركز نهر النيل للنشر
الطبعة العربية الأولى (مصر) 2020
تصميم الغلاف:
التنسيق مركز نهر النيل للنشر
رقم الإيداع :
الترقيم الدولى :
مركز نهر النيل للنشر والتوزيع
ج.م.ع - الزقازيق - ص.ب 85
موبايل وواتس آب: 002/01065449272
أرضي: 002/0552386969
e.mail: nhrelnile@yahoo.com
مركز نهر النيل للنشر: Facebook

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولمركز نهر النيل للنشر، ولا يجوز بأي صورة اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة، ورقية كانت أو إلكترونية، إلا بإذن كتابي من المؤلف أو الناشر

الإهداء

"وأهدى هذا العمل الفني إلى الرجل الذي تشققت يداه من الكد والتعب علينا.. ومازال يتعب ويكد لنصل إلى ما وصلنا إليه.. هذا الرجل هو أبي"

المقدمة

تخيل أنك تسكن في حى شعبي ومسكنك تحيط به المبانى من كل اتجاه.. واشتاقت نفسك أن ترى البحر من مسكنك وتشم هواءه الطلق ماذا تفعل؟

من المؤكد أنك ستبحث عن مسكن آخر قريب من البحر لتقطنه، لكن لو أن نفسك هذه سولت لك أن تغير بيئتك دون المسكن بأي حيلة كانت، حتي لو اضطررت أن تقتلعه من مكانه لتثبته أمام البحر مباشرة فهل هذا يعقل؟!

حياتُنا تُخَيِّلُ إلينا أن بإمكاننا فعل أشياء معينه كوسيلة لتحقيق غاية نظنها سهلة، لنكتشف في نهاية الأمر أن الوسيلة والغاية لا يمكن اجتماعهما وتحقيقهما معا، فالواقع مختلف تماما عما يوصله إلينا خيالنا، فمن أصابه ظمأ يتخيل أن الماء على بعد خطوات ليكتشف بعد خطواته أن ما رآه كان سرابا لا وجود له!

هذا ما أراده بطل قصتنا - قروى المنشأ - فقد خدعته مظاهر المدينة الفاتنة وافتتن بزينتها حتى أنه بنى أحلامه الذهبية ومستقبله الوردى على بيئة أخرى غير التي نشأ فيها، لقد خيل إلى ذهنه أن أحلامه موجودة هناك ولن يتحقق حلم من أحلامه إلا اذا انتقل إلى بيئته الجديدة ولكن مع ذلك لن يتخلى عن مبادئه التي اكتسبها من

بيئته الأولي وطباعه التي أصبحت جزءًا منه، عزم أن يغير بيئته مهما كلفه الامر، ظل يجاهد ويسعى في كل طريق ممكن، صارع الظروف وتحدى حاضره ليخلق مستقبله المظنون، بنى بيتا من الأحلام في عقله الباطن وأراد أن يجعله حقيقة! ولكن لا يعلم أن بيته بناه على كوم من القش لا أساس له، وبعد كل هذا العناء اكتشف صاحبنا أن كل هذه الأحلام ما هي إلا سراب لا أساس له فتحقيق الأحلام لا يتوقف على بيئة بعينها إنما يتطلب عزيمة قوية وإرادة صلبة واقتناعا بما تمتلكه لا ما ينقصك.

الفصل الاول

القرية .. وطموحات شاب

فى قرية نائية تقطن في حضن الجبل تسكن جماعة من الناس ثقافتهم محدودة، قانونهم هو القوة والسلاح لا يعترفون بغيرهما، يعيشون في صراع دائم مع أحداث متتالية وكوارث لا تنتهى، تارة يحدثها جماعة من المتطرفين شبابا كانوا أو شيوخا ممن ينتمون إلى القرية، وتارة تحدثها أطراف خارجية بمساعدة من داخل القرية. ظلت تلك الأحداث والكوارث تزداد يوما بعد يوم حتى ظن أهلها أن هذه القرية أصيبت بلعنة، وأن هذه اللعنة لن تذهب عنها مادام فيها أناس كهؤلاء الفاسدين! لقد حكم هذه القرية قانون القوة وأصبح القوى يأكل فيها الضعيف وتسفك فيها الدماء لأتفه الاسباب، وصار من يملك السلاح يملك مقاليد حكمها ويأخذ ما يريد من أى شخص عنوة وغصبا!

كل هذه الأمور جعلت أهل القرية نفسها يكرهونها، وجعلت لها سمعة سيئة بين جيرانها من القرى، وأصبح العيش فيها شيء لا يحتمل! ظل هذا الأمر هو السائد في القرية وأمورها أصبحت تزداد سوءًا يوما بعد يوم، وأصبح الناس فيها مقسمين أصنافا، صنف هم الفاسدون فيها وهم المسئولون عن حال القرية السيئ وهم كثر، أما الصنف الثاني فكانوا على صلاح ولا يرضيهم الحال الذي وصلت إليه

القرية وكانوا يريدون أن يصلحوا من شأنها إلى الأحسن ولكنهم كانوا لا يستطيعون أن يغيروا فيها لضعفهم.

أما الصنف الثالث فهم أناس لا يرضيهم حال القرية ويريدون لها الصلاح أيضا لكنهم يرون أن أفضل حلٍّ لهم أن يغادروا هذه القرية لعلهم يجدوا في غيرها ما لم يجدوه فيها، ومن ضمن من رأى أن الافضل مغادرة هذه القرية: "محمد".. ذلك الشاب الذي نشأ في هذه القرية وتشرب أعرافها ولكنه خرج ليتعلم خارج حدودها، فقد أرسله أبوه "متولي" ذلك الرجل الذي كان يعمل بفلاحة الأرض ولكنه تمنى لابنه مستقبلا مختلفا وعملا آخر. فبعد أن أنهى "محمد" الثانوية العامة أقبل علي أبيه يبشره: "أبي أبي.. لقد نجحت وبتفوق"! سمع "متولي" كلمات ابنه فترك فأسه وذهب إليه يستقبله بأجمل العبارات وأرق التهاني: "مبارك يابني.. اليوم أثبتَّ لي إنك بني الغالي.. أتمني أن أعيش لأراك طبيبا أو مهندسا يا محمد"! تبسم "محمد" ثم قال لابيه وهوسعيد: "لا يا أبي.. أنا سأصبح مدرسا إن شاء الله". نظر "متولي" لابنه في عجب لا يفهم لِمَ وقع اختياره على مهنة التدريس؟ فأكمل "محمد" حديثه: "المدرس يا أبي هو من سيخرج الطبيب والمهندس والمحاسب وجميع المهن.. وأنا أحب مهنة التدريس". احتضن "متولي" ابنه ثم قال له بصوت حنون: "وفقك الله يا بني.. من اليوم لن أناقشك في اخياراتك فقد أصبحت رجلا.. لكن الآن اذهب إلي أمك وبشرها"! حينها قَبَّلَ "محمد" يد أبيه ليمسح أبوه علي رأسه ويدعو له قائلا: "رضي الله عنك يا بني".

انصرف "محمد" بعدها إلى أمه، تلك المرأة صاحبة الأربعين عاما وصاحبة الوجه البشوش، كانت تنتظر "محمد" بلهفة شديدة، وصل لبيته وإذا بأمه علي الباب تنتظره وبمجرد أن رأته احتضنته وهنأته قائلة: "مبارك يا ولدي"! ضحك حينها "محمد" وهو يقبل يدها ثم قال: "من أخبرك بالنتيجة يا أم "محمد" ؟". "قلبي يا ولدي ثم عيناك، فأنا أفهمك أكثر من نفسك، وفقك الله يا ولدى". "آمين يا أمي لا حرمني الله منك".

ذهب "محمد" إلى المدينة لكي يكمل طريق تعليمه ويعود بالشهادة الكبرى، وخلال تلك الفترة لم يتعلم فقط في كليته بل تعلم من عالمه الجديد، فقد سحرته المدينة بعالمها الفاتن وجعلته يكره البقاء في القرية أو يكمل بقية حياته فيها، مضت أربع سنوات ليعود بعدها إلى قريته، لكن "محمد" الذي عاد لم يكن ليقيم في القرية الإقامه الدائمة بل إنه ككثير من الشباب ينتظر اللحظة المناسبة لترك هذا المكان بكل ما فيه، وعلى الرغم من ذلك قبل "محمد" بأن يكون مدرسا في مدرسة القرية لعله يصلح بعضا من عقول الأجيال القادمة، أو ينقذ ما يمكن إنقاذه منها.

ومن الأمور التي لم يكن ليرضاها "محمد" أيضا الزواج من القرية! أراد ان يتزوج من العالم الذي تعلم فيه ألا وهي المدينة، ففتاة المدينة بالنسبة له هي زوجة مثالية وأم مناسبة لتربية أبناء المستقبل.

عمل "محمد" باجتهاد داخل المدرسة، وكانت الأيام تمضي متاشبهة لا جديد سوى أنه يخرج من بيته في الصباح إلي المدرسة وعند انتهاء اليوم الدراسي يعود ليجالس "خالد" ابن عمه "جمال" أو يتسامر مع أمه وأبيه، لم تكن الحياة التي يتمناها أبدا، ومع ذلك أمه كانت تريده أن يبقى معها ويتزوج من القرية، فبنات القرية التي عهدتهن مثالا للأخلاق والاحترام، وهي تريد لابنها واحدة منهن لكنه يرفض كل هذا، فزوجته قد حددها ومستقبله قد رسمه بريشة خياله السحرية.

انتهي اليوم الدراسي وتوجه "محمد" إلي أبيه ليأخذه معه إلي البيت، فقد أحب "متولي" الزراعة حتى أصبحت جزءًا من حياته، وصل إلي الأرض التي يزرعها أبوه ليجده مازال يعمل: "أبي! أما يكفيك؟ منذ الصباح وأنت تعمل ولا زلت إلي الآن في عملك، هون علي نفسك يا رجل"! اكتفي "متولي" بابتسامة عريضة وهو ينظر إلى ابنه ولسان حاله يقول: "الأرض يا ولدى ليست ترابا يُزرع بل هي روحك التي لا تستطيع ان تتركها"! "كفاك يا أبا "محمد" وهيا بنا". عندها ترك فأسه وتوجه إلي جلبابه وهو يتحدث إلي محمد: "يا ولدي اعلم أن راحتي هنا ما بقيت". "أنت وجدت الراحة في أرضك وأنا أعلم أين راحتي، وأمي لا تتركني وشأني"! "أمك تتمني لك كل خير وعند عودتنا حدثها واعلم انها تحبك". "بالطبع أعلم ذلك، سأحدثها، لكن إذا تحدثت أنت إليها ادعمني حتى أقنعها، اتفقنا أبا محمد"؟ تبسم "محمد" لأبيه، ثم قال له أبوه: "اتفقنا يا رجل". رجعا إلى البيت بعدها ليجدا

"جليلة" - أم محمد - في انتظارهما وقد أعدت لهما الطعام، لم يتكلم أحد إلا بعد تناولوا الطعام معا، ثم قال "محمد" بصوت هادئ: "والله يا أمي فتاة قريتك لا تصلح لي، وأنا لا أصلح لها! وأعدك إذا أردت الاختيار من المدينة لن أخطبها إلا إذا رأيتِ الفتاة وأعجبتك.. اتفقنا"؟ لم تعلق "جليلة" علي كلمات ابنها، فناداها "متولي" وهو يبتسم: "تعالي يا امرأة ودعي ابنك يختار من شاء من أي مكان أراد ولا تخافي، سيكون موفقا في الاختيار". "سنرى من ستختار وماذا سيكون فيمن ستختارها ليس موجودا عند بناتنا"؟! تبسم "محمد" لأمه وهو يقول في نفسه: "لديها كثير يا أمي يكفي من هذا الكثير العقل الذي تشبع من العلم والطباع المتفتحة".

بينما يتبادل الثلاثة الأحاديث سمع "محمد" أحدا ينادى عليه، "إنه صوت خالد ابن عمى سأذهب للقائه، أتريدان مني شيئا"؟ "لا يا ولدي، اذهب" قام "محمد" وتهيأ حتى يخرج لـ"خالد" فقد كان "خالد" بالنسبة له كل شيء ويحبه حبا جما وكانا يجلسان تحت شجرة قريبة من أرض "متولي" "أهلا بصديقى وابن عمى خال كيف حالك"؟". "الحمد لله يا أخى يا "محمد" أردت أن أجلس معك فقد سئمت من تصرفات أبي وقصدتك لكى أجلس معك بعض الوقت، إن كنت مشغولا سأذهب الآن وأعود لاحقا". "كيف تقول هذا ياخالد؟ إن كنت مشغولا أتفرغ لأجلك". تبسم خالد وقال لصديقه: "لا حرمنى الله منك. إذن هيا بنا لنذهب إلى الحقل كي نتحدث". "هيا بنا يا خالد".

توجه الاثنان ليجلسا في المكان الذي تعودا أن يجلسا فيه معا، بدأ "خالد" الحديث قائلا: "محمد.. لا أدرى ماذا أفعل مع أبي؟ لا أستطيع أن أعارضه ولا أتبعه فيما يريد"! "اسمع يا خالد إن عمى منذ أن خرجنا إلى هذه الدنيا وهو هكذا.. فتقبله على هيئته واصبر لعله يتغير ولكن لا تطعه في الأمر الذي لا يُرْضِي الله ولا يَرْضَى عنه ضميرك". "أتعلم يا محمد إنه يريد مني أن أقف في وجه عمي لكي يأخذ منه أرضه؟ يقول إنها من حقه هو وليس أحد سواه"!. "والله يا خالد إن هذا الكلام ليحزننى، فأبي دائما يوصيني أن أعامل عمي معاملة طيبة حتى وإن أساء الينا جميعا"! "لا أدري يا محمد ماذا أفعل معه وعقله دائما يسيطر عليه الطمع وقلبه أسود من الجميع دلني يا أخي"! "اسمع يا خالد مهما فعل سيظل أباك وعليك طاعته لكن في الظلم وأي شيء سيئ آخر لا تطعه! فهذا لا يُرضِي الله تعالى أبدا، لقد حاولت كثيرا أن اتحدث معه لكنه لا يريد الحديث معي وكأنني عدوه وكذلك لا يتحدث مع أبي لا ادري ماذا افعل معه لكن إن شاء الله سيتغير فارفق بنفسك يا خالد، والذي غير أناسا كانوا على الكفر إلى الإيمان قادر على أن يطهر قلب أبيك من كل ما يشوبه. والآن دعك من هذا الأمرودعه لربك. أريد أن أحدثك في أمر آخر ألا وهو أمي، تصر دائما في كل مره تقابلني فيها ان تزوجني من القرية وأنا كما تعلم لا أريد ذلك وأريد الزواج من المدينة، فماذا أفعل الآن يا أخى؟ دلني! حار عقلي في هذه القضية"! "محمد.. أنت أخى وتعلم كم أحبك.. لكن أريد أن أفهمك شيئا لم تسمعه من أمك، أنت لم تفكر كثيرا في المميزات التي تميز فتاة قريتنا عن المدينة، وأرجوك اسمعني حتى النهايه". "سأسمع يا خالد

قل ما شئت". "فتاة القريه لا تعرف من الكلمات أمام زوجها إلا كلمات السمع والطاعه ولا تقدم لأمر إلا وزوجها يسبقها إليه. فتاة القريه تعامل زوجها معاملة الملك من قبل حاشيته. فتاة القرية لا ترد أمرًا صدر من زوجها. فتاة القرية متفرغة تماما لزوجها ولبيتها ولا ينازعها في ذلك شيء. أبعد كل الذي قلته لك ما زلت مُصِرًّا على رأيك"؟ "نعم يا أخى.. أسألك سؤالا وتجيبني عليه هل أستطيع أن أقنعك أن القمر يخرج في النهار والشمس تخرج في الليل"؟! "لا"! "أنا كذلك لا تستطيع أن تقنعني أن أفعل شيئا أنا مقتنع بغيره"! "إن شاء الله يا محمد سيرزقك الله بالذي تتمناه، أأقول لك شيئا كي تصل لهذة الفتاة"؟ "قل يا خالد". "اذهب إلى المدينة وتجول فيها علك تجد ما تريد"! "ولكن يا خالد كيف أتجول فيها وأنا لا أعرف أحدا هناك"؟ "تجول ربما هداك القدر إلى ما تريد". "صدقت يا خالد! سأذهب بعد غد إن شاء الله وقد يكون هناك خير ينتظرني وأنا لا أدري"!

انتهي حديثهما وانتهت جلستهما أيضا فقاما الشمس تميل للغروب، ليتركا مكانهما متوجهين كلٌّ إلى بيته. مرت ليلة "محمد" مليئة بالأرق شديد هو يفكر هل حقا قد يقابل من يتمناها منذ صباه أم لا؟ وإن وجدها هل ستقتنع بها أمه وأبوه؟ لقد كانت أسئلة كثيرة تدور في رأسه دون إجابة مقنعة ليجئ الصباح وهو على حاله، دخلت أمه لتوقظه فإذا بها تجده جالسا على سريره، لم يشعر بدخولها، تأملته قليلا ثم قالت في عجب: "محمد هل بك شيء يا ولدي"؟ "لا يا أمي، هل خرج أبي"؟ "خرج منذ أكثر من ساعة، وأنت هل ستخرج"؟ "سأخرج يا أمي".

قام "محمد" من سريره وخرجت أمه لتعد له الإفطار، أخرج من دولابه ثيابا جديده ليلبسها، تَجَهَّزَ وتناول إفطاره سريعا ثم خرج متجها إلى عمله. لكن "محمد" في هذا اليوم لم يكن محمدا الذي كان يحب التدريس والعلم، والذي تخصص في الجغرافيا وأحب التاريخ وكان لتخصصه هذا شغف عنده منذ الصغر. "محمد" اليوم كان عقله شاردا بعيدا عن الجغرافيا و التاريخ!

وصل "محمد" المدرسة وكانت معه في الجدول اليومي حصة أولى، فتوجه مباشرة إلى الفصل وقبل أن يدخل قرر أن يتناسى ما يشغله حتى نهاية الحصة. دخل فصله وحيَّاه تلاميذه ثم أجلسهم قائلا: "يا أولادي اليوم إن شاء الله سنتحدث عن موضوع جميل ألا وهو مدن مصر ومواقعها المختلفه، وقبل أن يكمل حديثه رفعت طالبة يدها، تبسم قليلا فهو يعرفها، إنها "رويدة" صاحبة الاسئلة التي لا تنتهي داخل المقرر وخارجه! "تفضلي يا رويدة ماذا تريدين"؟. "لو سمحت يا أستاذ لماذا قريتنا ليست كالمدينة؟ ولِمَ ليس فيها ما في المدينة من أشياء جميلة"؟ "اسمعى يا رويدة، الله خلقنا لكي نكمل بعضنا البعض وجعل المدينة لنحتاج إليها في بعض الامور التي توجد فيها دون القرية، وجعل قريتنا لتحتاج إليها المدينه في أن تمدها بالخضروات وكل ما نزرعه في أرضنا هل فهمتِ سبب الاختلاف الآن"؟ "نعم يا استاذ"!

على الرغم من أن الطالبة اقتنعت بكلام أستاذها عن المدينة والقرية إلا أنه هو نفسه لم يكن مقتنعا بما يقول! انتهى الدرس وانتهى اليوم الدراسى ليعود "محمد" إلى بيته مجددا وقبل أن يدخل غرفته إذا بأمه تناديه وهى تجلس على أريكتها: "تعال يا محمد"! علم "محمد" أن حديث الأمس معها لم ينته بعد وهناك بقية من كلام! "نعم يا أمي أهناك شيء تريدينه مني"؟ "أنت تعلم ماذا أريد منك! لكنك تماطل ولا تعطني الرد المناسب"! "يا أجمل أم في الدنيا، ألم نتفق بالأمس أننى إذا وجدت الفتاة المناسبة سأقول لك"؟ "وإذا كنت أنا قد وجدت لك هذه الفتاة وهى مناسبة لك بدرجة لا تتصورها، متخرجة من جامعة ومتعلمة وبالاضافة لذلك فهى ذات حسب ونسب وخلق ليس له مثيل، ما رأيك يا بطل"؟ تبسم "محمد" قائلا "لا يا أمي! لسبب واحد.. كل هذه مميزات جميلة لا ترد، لكن يعيبها أمر واحدٌ أنها من القرية"؟! "وما لها القريه يا بني؟ ألستُ أنا من القرية وابوك منها"؟ "وهل هناك من هي مثلك؟ أنت عملة نادرة ياجليلة.. ولكن الآن يكفيكي لقد اتفقنا بالأمس ولن أغير كلامى أبدا"! تغير وجه أمه قائلة: "افعل ما شئت ولكن اعلم أنى أريد لك السعادة، عليك أن تعلم هذا جيدا"! "أعلمه يا أمي ومقدره جيدا، وإن شاء الله سأفرحك قريبا بشأن الزواج، اتفقنا"؟! "كما تريد يا بني"! تبسم "محمد" وقبَّل يدها ورأسها فتبسمت قائلة: "حفظك الله يا بني".

مر هذا اليوم دون حديث آخر عن الزواج فقد تجنب "محمد" بقية يومه الجلوس بجانب أمه حتى لا تذكره ثانية ولا ينتهى الأمر

لقد كانت الأفكار تطارد عقله دائما وأسئلة كثيرة لا يعلم إجابتها إلا الله ولن تتكشف له إلا غدا. استعد "محمد" ليومه التالي كي يذهب ليرى إن كان سيجد الفتاة التي رسمها في مخيلته أم إن التوفيق لن يكون حليفه؟ هذه المرة، ذهب للمدينة التي تعلم فيها وكان في قمة فرحه وسروره لم يتخلل التشاؤم يومه أبدا، كان يعلم أن هذا اليوم سيغير حياته بدون أدنى شك! وصل وبدأ بالتجوال في شوارعها التي كاد ينساها من كثرة التغيرات التي طرأت عليها، ظل في بحثه ساعات طويلة وهو يتمنى أن يجد من يتمنى أن تكون زوجة المستقبل لكن دون جدوى، وفجأة ظهرت له فتاة تلبس لباسا فضفاضا وعيناها لا ترفعهما إلا لحاجة وتسير بحياء شديد فأعجب بهيئتها! حينها توجه إليها مباشرة كالذي سيموت من الظمأ ووجد بئرا! وأول ما قاله لتلك الحسناء: "أريدك للزواج هل تقبلينني"؟! "محمد.. الذي تعلم بالمدينة وسكنها لم يأخذ من ثقافتها شيئا بل اكتفى بثقافة قريته، فقد كان سؤاله مباشرا وحادا في وقعه على الأذن، انتظر الرد أن يخرج من شفتيها ولكن الرد جاءه على هيئة صفعة قوية منها على وجهه هزت أركانه، وأكملت بعدها الفتاة طريقها كأن شيئا لم يكن! عندها تحسس "محمد" مكان الصفعة وعلى وجهه غضب لا يوصف، كانت صفعة أذهبت وعيه للحظات، ذهب تفكيره في كل اتجاه ليفيق بعدها وهويبحث عن مقهى شعبي ليستريح بعض الوقت. جلس على كرسي يقع في آخر يمين المقهى يبدو عليه القدم كالمقهى تماما، طلب كوبا من الشاي وظل يفكر في تلك الصفعة وصاحبتها وهو لا يدري أيحزن على صفعه أم يفرح لأنه علم أن

المدينة بها بعض النماذج التي يريدها وبينما هو على حاله إذا به يسمع اثنين من الشباب يتحدثان عن حال فتيات مدينتهما وأن الوضع لا يرضي أحدا وظلا يمدحان في فتيات القرية لأدبهن وحيائهن. "محمد" سمع كلماتهم التي كانت تداعب أذنيه وعلى وجهه ابتسامة خفيفة الظل وهو يقول لنفسه: "أنا لا يرضيني فتيات قريتي لقلة حكمة عقولهن وهذان لا تعجبها حال فتيات مدينتهما لقلة حيائهن، يبدو أن الدنيا لا تكتمل في عين أحدٍ أبدًا فالكمال شيء مستحيل في هذه الدنيا".

تحرك بعدها "محمد" مغادرا المقهى ومغادرا المدينة بما فيها وكأنه ترك شيئا كان يخنقه ويضيق عليه سبل التنفس! كان يوما غير فيه أشياء سكنت فكره منذ الصغر ركب سيارة القرية و كأنه يركب سفينه نوح لينجو من كل ما يراه، عاد وخيبات الأمل مرسومة على وجهه والحزن يملأ قلبه ووجدانه. دخل بيته دون أن يتلفظ بكلمة واحده، حتى إنه لم يلاحظ وجود أبويه كأن ما رآه في المدينة كان كافيا حتى لا يرى شيئا بعده! دخل غرفته وخلع ملابسه ثم استلقى على سريره وهو يفكرفيما رآه والحيرة تزداد في داخله وأسئلة لا تنقطع ماذا سيقول لأمه إذا سألته ثانية عن هذا الامر؟ وكيف ستسير حياته بعد هذا اليوم؟ بينما هو على سريره كانت أمه قلقه عليه تحدث نفسها حينا وتسأل أباه حينا آخر: "أبا محمد.. ماذا حدث لمحمد؟ ما رأيك.. هل أدخل له لعله حزين ومعه امر فأخفف عنه"؟ "ادخلي له يا أم محمد، ولكن لا تزيدى عليه من الأسئلة، إن

أراد أن يقص عليك فاسمعى وإن رفض فاتركيه". دخلت أمه عليه وهي في حالة صعبة تخاف على ابنها وفي نفس الوقت لا تريد أن تكثر عليه الاسئلة. "مالك يا محمد؟ هل حدث شيء"؟ نظر اليها وعيناه كادت أن تنزل دمعاتهما وتفضح أمره أمام أمه "ليتني سمعت كلامك يا أمي ولم أعلق فكري ونفسي ببنات المدينة". "هون عليك، فنحن نخوض التجارب لنتعلم منها الدروس والعبر، اترك الامر من عقلك وذهنك وإن شاء الله سيحل الأمر قريبا وسترزق بزوجة الصالحة وذرية صالحة، أما الآن فانتبه لعملك يا ولدى.. اتفقنا"؟ هز محمد رأسه مشيرا إلى أنه يوافق أمه الرأي. تركته أمه ليستريح وخرجت لزوجها الذي كان ينتظر خروجها بلهفة ليطمئن على ابنه: "ماذا حدث مع محمد يا جليلة؟"؟ "محمد الحيرة تتعبه فادع له يا متولي بصلاح الحال". "سأدعو له يا ام محمد لا حرمنا الله منه". مرت أيام عدة بعد هذا الأمر وعاد "محمد" لطبيعته ونسي أمر الزواج وشغلته المدرسة بما فيها عن التفكير في هذا الأمر ثانية وكأنه أراد لنفسه هدنة ليعيد تفكيره.

الفصل الثاني

صحبة جديدة وزواج قريب

مرت أيام على "محمد" لا جديد فيها، فقد كانت تشبه بعضها حتى جاء هذا اليوم حيث ذهب "محمد" إلى مدرسته كعادته، شارك في طابور الصباح، وبعد أن انتهى الطابور وانصرف الجميع توجه "محمد" إلى غرفة المدرسين، لم يكن هناك أحد فقد كان لدى الجميع أعمالهم وحصصهم. جلس "محمد" على مقعده وأخذ يجهز لدرس اليوم، وبينما هو على حاله دخل عليه شاب في أواخر العشرينيات من عمره يبدو عليه شيء من الوسامة وأثر التعب كأنه آت من مكان بعيد. اشْتَمَّ فيه "محمد" رائحة المدينة وأهلها فقد عهدها، وأحس أنه منها دون أن يكلمه، دخل ولم يتكلم في بداية الأمر واكتفى بالنظر إلى جدران الغرفة التي عفا عليها الزمن متأففا من المكان وكأنه كرهه ولا يريد البقاء فيه.

نظر عندها لمحمد ليقول له بابتسامة خفيفة: "السلام عليكم". "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هل تحتاج لخدمة أستطيع أن أقدمها لك"؟ "لو سمحت أين غرفة المدير"؟ "آخر الممر على اليمين، هل آتي معك لأدلك عليها"؟ "هذا كرم منك، ما اسم حضرتك"؟ "أنا الأستاذ محمد مدرس الجغرافيا والتاريخ ومن حضرتك"؟ "أنا الأستاذ علي مدرس التاريخ منقول من مدرسة

بالمدينة". "أهلا وسهلا بك تفضل تعال معي سأريك الغرفة". ذهب "محمد" معه وهو بين الفرح والحزن، ففرح لأن الضيف الجديد سيخفف بعضا من الأعباء حيث إن تخصصه في التاريخ وسيأخذ بعضا من حصصه، وحزين لأنه يذكره بأهل المدينة وذكريات لا يريد أن يتذكرها.

وصل الاثنان إلى غرفة المدير، طرق "محمد" الباب ثم دخلا، بعد تحيه حارة بينهما تكلم الأستاذ "علي": "حضرة المدير أنا المدرس الجديد جئت منقولا من المدينة وهذا المستند الذي يفيد سيادتكم بذلك". استلم المدير المستند وقرأه ثم قال بإبتسامته المعهودة: "أهلا بك أستاذ علي، إن شاء الله سيكون الأمر على ما يرام هنا فمدرستنا طلابها ليسوا كثر والأستاذ محمد من أكفأ المدرسين وسيكون معك حتى تفهم الوضع السائد هنا. أستاذ محمد استوصى بالأستاذ علي خيرا فهو من الآن ابن من أبناء هذه المدرسه". "محمد" كان يسمع هذه الكلمات وتمنى لو كان أصم حتى لا يسمعها ولكنه أصبح أمرا واقعا، تبسم لهما قائلا: "إن شاء الله حضرة المدير".

"محمد" الذي أراد أن يدل "علي" على غرفة المدير وينصرف عنه حتى لا يختلط به ولا يذكره بالمدينة وأهلها، أصبح الآن ملازما له طوال اليوم الدراسي، وعلى العكس من محمد فقد كان الأستاذ "علي" فرحا بمرافقته حتى يفهم منه كل شيء يخص المدرسة،

خرج الاثنان من غرفة المدير وتوجها إلى غرفة المدرسين وقبل أن يجلسا جلب الأستاذ "محمد" كرسيا لـ"علي" ووضعه بجانبه قائلا له "أستاذ على هذا سيكون مقعدك الدائم هنا". "شكرا لك أستاذ محمد". "العفو نحن من اليوم زميلان وأخوان". تبسم "علي" برضا وهو يسمع كلمات صديقه الجديد قائلا له: "لقد جئت من المدينة منقولا رغما عني لأني كنت أتأخر كثيرا عن موعد الطابور فعوقبت بقريتكم"! تبسم محمد: "وهل ينظر المسئولون عندكم لمدرستنا على أنها مكان للعقاب والتأديب؟ لا تقلق أستاذنا فقريتنا ليست بمنفى ولن تندم على مجيئك هنا وإن شاء الله موفق". "إن شاء الله". ولم يكمل الاثنان كلامهما وإذا بصرخات آتية من خارج غرفتهما تفزع القلب! ماذا حدث؟ خرجا على عجل ليريا مشهدا غريبا فأحد الطلبة ممسكا بسكينا يضعها على رقبة طالب آخر وهو يهدد من يقترب بذبحه! انتاب "محمد" فزع والحاضرون، "ماذا تريد منه يا بني"؟ محمد يكلمه برفق عله يرجع. "لقد شتمني بأمي وأنا لن أرحمه"! "اهدأ وسيعتذر لك عن فعلته". تبسم ذلك الطفل صاحب الثلاث عشرة سنة وهو يقول كلاما لا يخرج إلا من رجل تعدى الخمسين: "عندنا سب الأم كهتك العرض تمام"! تراجع بعدها "محمد" من مكانه فقد علم أن الكلام لن يغير في تصرفه شيئا، انسحب ليلف خلف المبني ليأتيه من الخلف، وصل إليه وهو يسير ببطء حتى لا يشعر به وعلى غفلة منه أمسك بالسكين التي في يده ليصفعه بعدها عدة صفعات. يخلصه الأستاذ "علي" من بين يدي "محمد": "ارفق به فهو لا يفهم شيئا"! "كيف لا يفهم شيئا وفعل كل هذا"؟! أخذ "علي" "محمد" إلى غرفة

المدرسين وأخذ الطالب إلى غرفة المدير. "يبدو أن مسئولي المدينة على حق، فمدارسنا أشبه بأماكن العقاب" قال "محمد" كلماته وغيظٌ تملك وجدانه، حاول "علي" أن يهدئه حتى عاد لطبيعته وانتهى الأمر لكنه ظل في وجدانه محفورا!

مرت أيام كثيرة وتعمقت الصداقة التي بين "محمد" و"علي" وكانت الايام كفيلة بذلك والعمل الواحد. وفي يوم من الأيام طلب "محمد" من على أن يضيفه في بيته حيث أمه ستعد له الغداء وهذا الأمر سيجعله في قمة سعادته، لكن "علي" اعتذر حيث إن له أختا وحيدة وهما يسكنان معا بعد أن مات والداهما. فتركه "محمد" ولكنه لم ينس الأمر، وفى اليوم التالى وبعد إصرار من "محمد" وافق "علي" واتفق على معه إذا قبل بالغداء عنده فعلى "محمد" أن يقبل بالغداء عند "علي"، تردد "محمد" لكنه وافق، واتفقا على ذلك، انتهى اليوم الدراسي واصطحب "محمد" صديقه وتوجها إلى البيت. وبينما "علي" يسير في طريقه كان مبهورا بالمناظر الخلابة من أشجار ونباتات وحيوانات وأشياء لم يألفها في بيئته وقد كانت تزين الحقول والشوارع، و"محمد" بجانبه يتعجب ويقول له ممازحا: "ماذا بك يا علي لو عرض عليك العيش وسط هذة الاشياء هل كنت ستوافق"؟ "بالتاكيد سأوافق بدون أى تردد! أما ترى هذه المناظر الخلابة يامحمد؟ إنها جنة". "هذة الجنة التي تتحدث عنها أنا لا أريد العيش فيها وأريد أن أتركها في أقرب فرصه"! نظر إليه "علي" نظرة المتعجب والمستنكر قائلا: "أجننت؟ من يترك كل هذا؟ وإذا

تركته أين ستذهب؟ هل ستذهب إلى المدينه؟ أنا لا أوافقك الرأى! عد إلى صوابك وانظر حولك فجنات الأرض حولك"!

وصلا إلى البيت وجلسا يتحدثان قليلا قبل أن تأتى أمه وسلمت على "علي": "كيف حالك يا علي؟ محمد يكثر الحديث عنك ويعلم الله أنى أحببتك قبل أن أراك"!. "هذا شيء يجعلني سعيدا بارك الله فيك يا ام محمد". "وفيك يابني". "أم، نريد طعامك الشهي ولنوفر الحديث بعد الغداء". تبسمت أمه وهي تمازحه: "تجهزا لمعركتكما فدقيقة وسآتي به، ولكن اعلم أنه لأجل عليّ لا لأجلك"! ضحكوا وذهبت "جليلة" لتجهز الطعام، جلسا لتناول الغداء وبينما هما على المائدة يأكلان: "ما شاء الله! أمك ماهرة حقا في تجهيز الطعام". قال "عليّ" هذه الكلمات وهو يهمس لـ"محمد" بها فتبسم قائلا له في فخر: "إنها أمي"!

انقضى اليوم.. وكان يوما لا يُنسى فقد قضى الاثنان أوقاتا طيبة وتبادلا الأحاديث والضحكات ليغادر بعدها "عليّ" عائدا إلى المدينه بعد أن اتفق مع "محمد" على الغداء معه غدًا. غادر "عليّ" وفى طريقه كان يفكر في "ياسمين" وبالتاكيد ستقلق من التاخير غير المبرر. دخل البيت ليجد "ياسمين" تلك الفتاة العشرينيه صاحبة الوجه الملائكي خفيفة الظل لا تُرى الا مبتسمة مجتهدة تريد أن تبني مستقبلا تريده لنفسها.. وجدها على غير عادتها، كانت في قمة حيرتها وخوفها عليه "مالك يا ياسمين"؟ "عليّ! أما تدري ما لي

يا أخي؟ قلقت عليك كثيرا وظننت ظنونا سيئة! فأنت في قرية سمعت عنها أشياء سيئة وخفت عليك منذ أن حكيت لى عن الطالب الذي مسك السكين لزميله وقلبى لا يرتاح لهذه القريه"! تبسم "عليّ" وهو يمازح أخته قائلا: "القرية التي تتحدثين عنها هكذا سيأتي منها غدا إلى هنا شخصية في قمة الاحترام والأدب، ولا تقلقي فليس كل من فيها بهذه الصورة التي رسمت في خيالك"! "ولماذا سيأتي هذا الشخص إلى هنا"؟ "لقد تناولت اليوم عنده الغداء وطلبت منه أن يأتي غدا لتناول الغداء عندنا وهو زميلي بالمدرسة، ولو سمحت يا ياسمين أريد منك أن تجهزي أطيب الأكلات التي تعرفينها فلقد تناولت عندهم اليوم طعاما أقل ما يقال عنه إنه لذيذ! جهزته أمه وكأنها متخرجة من أرقى الجامعات". تبسمت ياسمين: "لا تقلق يا أخى، ثق في أختك سأرفع رأسك أمام ضيفك إن شاء الله". "إن شاء الله يا اختي ولكن دعيني الآن فأنا في حاجة للنوم فقد كان اليوم مرهقا". "اذهب يا أخي، نوما مريحا لا قلق يتخلله إن شاء الله". لقد كانت ياسمين تحب عليًّا وتخاف عليه كخوف أم على ابنها.

دخل "عليّ" غرفته وراحت "ياسمين" تفكر فيما ستصنع غدا فقد جعلتها كلمات أخيها تشعر وكأنها في سباق مع أم صديقه لتثبت لنفسها ولمن سيتناول طعامها أنها الأفضل دائما. وجاء اليوم الموعود وبعد انتهاء اليوم الدراسي توجه "محمد" و"عليّ" إلى المدينة حيث ركبا السيارة المتجهه إلى المدينة بينما كانت "ياسمين" في أعلى حالات الاستعداد تضع اللمسات الأخيرة على أطباقها

الشهية. على الرغم من كل تعب "ياسمين" كان "محمد" طوال طريقه يتمنى أن ينقضي اليوم سريعا، فهو لا يريد أن يبقى كثيرا في المكان الذي كان سببا في أن يزوره الهم والحزن ولا ينقطع عنه ففيه رأى خيبة الأمل وفيه صُفِعَ صفعة لم ولن ينساها وفيه شاهد أشياء جعلت الدنيا تَسْوَدُّ أمامه لفترات ليست بالقليلة.

وصلا بعد إرهاق من طول الطريق الممل، ودخلا إلى البيت، اتجه "عليّ" إلى أخته ليرى أنتهت أم لا؟ كانت "ياسمين" تنهي آخر التحضيرات للغداء، نظر "عليّ" إلى ما أعدته أخته ليصفق لها معبرا عن إعجابه، وتبسمت عندها ياسمين. "ياسمين اخرجي وسلمي على ضيفنا". "هيا بنا يا أخي". توجهت مع أخيها إلى غرفة الضيوف لترحب بضيف أخيها وتدعوهما إلى الطعام، نظرت إليه فإذا بالقلق والتوتر انتابها وكأنها لا تريد أن تسلم عليه! "السلام عليكم سيد محمد، أهلا بك في بيتنا". كان سلامها سريعا ولم تنتظر رد سلامه وتركتهما لتجهز الغداء. "أهلا وسهلا بحضرتك". قالها "محمد" وعرقه يتصبب منه وهو يقول لنفسه "هل أنت ياسمين؟ أنت صاحبة الصفعة؟ إن كفك مازال على وجهي واضحا"! عندها تمنى "محمد" أن ينتهي غداؤهم سريعا!

أقبل الثلاثة على طعامهم ولكل واحد غاية يريد أن تتحقق بعد الأكل فمحمد يريد من عقارب الساعة أن تسرع وينتهي وقت الغداء وينصرف، و"علي" يريد أن يقوم مع بواجب ضيافة صديقه على

أكمل وجه، ولكن "ياسمين" كانت تريد أمرين: أن تنتهي الجلسة وينصرف ضيفهم دون أن يتكلم عن تلك الصفعة وأن يكون طعامها على ما يرام!

انتهى الغداء وبينما كان "محمد" و"عليّ" منهمكين في الحديث، أرادت "ياسمين" التي كانت تعد الشاي أن تتعرف على شخصية الريف وطبيعتها وهل كان سؤاله لها على محمل الجد؟ كانت تسمع منذ صغرها عن هذه الشخصية العنيدة التي تكسوها الجدية دائما تتخللها الطيبة وعلى الرغم من هذة الطيبة إلا أن العصبية شيء لا يتجزأ منها، فهي حقا تحتار في فهمها العقول، بعد قليل جلبت "ياسمين" الشاي واستأذنت بالجلوس فأذن لها أخوها. "سامحاني إن قطعت كلامكما، لكن عندي سؤال أريد جوابه من الأستاذ محمد"! ابتلع "محمد" ريقه خوفا من أن تسأله عن سؤاله يوم الصفعة، لكنه قال لها بقلق "تفضلي". "هل أنت سعيد بالعيش في القرية بالرغم من كثرة عيوبها؟ أقصد هل هي أفضل أم المدينة بالنسبة لأشياء كثيرة؟ دُهش "محمد" من سؤالها وتمنى لو لم يجبها! فعلى الرغم من إنه يعلم أن المدينه أفضل إلا أنه أجاب قائلا: "المدينة والقرية كلاهما أماكن، لكن المهم الذين يسكنونها، فأنا أفضل القرية لأن فيها أهلي وكل من أحبهم ويحبوننى وأنت كذلك تفضلين المدينة، ولكل مكان مميزاته وعيوبه المهم أن يقتنع الإنسان إنه ليس إلا مكان وبقية المشهد يصنعه هو لنفسه".

"ياسمين كانت عندها نظرة عن أهل القرية لكن وبعد سماع هذه الكلمات منك يا "محمد" ستغيرها بالتاكيد"! تبسم الثلاثة وكأن ابتسامتهم خففت من الحرج الذي كان ينتاب "محمد" طيلة الجلسة "لكن أستاذ محمد سؤال أخير: ماذا لو تزوج أحدكم من المدينة شبابا أو فتيات.. فكيف يرى أهل القرية هذا الزواج"؟

تبسم "محمد"، هو يعلم أن سؤالها يتخلله شيء من دهاء أهل المدينة فهي حتما تسأل عن طلبه منها عندما قابلها في الشارع! "هذا الأمر طبيعي لكنه يتوقف على الشاب أو الفتاة التي تأتي من المدينة أو العكس، فعلى الجميع أن يتقبل ثقافة الآخر حتى تدوم العلاقة بينهما، وعندنا إذا طلب شاب من فتاة الزواج فالقضية محسومة بالنسبة له وهو ينتظر إجابتها وقتها"! عندها ألقت "ياسمين" سؤالا أشد مكرا من سابقه وهي تتلاعب بالألفاظ: "هل تقصد أن الرجال عندكم يُرغمون من تأتي من المدينة على أشياء وقوانين رغما عنها دون مراعاة لمشاعرها وحريتها الشخصية"؟ "بالطبع لا، ولكن عندنا بعض الأعراف المتبعة وعلى من توافق على المجئ إلينا أن تحترمها لأجل زوجها قبل كل شيء ولن ترغم على اتباع كل الأعراف ولكن على الأقل الثوابت منها والخطوط الرئيسية".

حولت "ياسمين" الجلسة من حوار ودي إلى أشبه ما يكون بتحقيق صحفي أو أشبه بمن يريد أن يوقع من أمامه في الخطأ رغما عنه، فبعد أن سمعت رده سألته لتفهم أكثر ويكون الأمر بالنسبة لها

واضح: "مثل ماذا"؟ "عندنا لا تخرج المرأة وحدها وعندنا لا تخرج المرأة وهي تلبس شيئا لا يليق بأعرافنا وعليها رعاية شئون بيتها ولا تخرج عن طاعة زوجها". "رغم أن هذا لا يناسب طبيعة المدينة عندنا ورغم اني كنت أظن أن القرية سجنا كبيرا وذلا للمرأة ولكن بعد سماع ذلك منك علمت أن القرية تزيد من احترام المرأة وترفع من مكانتها وفهمت سر تماسك قريتكم وضياع مدينتنا"!

وبينما كانت الاسئلة ترمى والأجوبة تليها سريعا بدون توقف كان "عليّ" يتابع الحديث وهو في دهشة من أمره، فأخته كلماتها تتبدل ورأيها يتغير! "شيء جميل أن أسمع من أختي هذه الكلمات! ليتك جئت منذ زمن يا أخي! فالتي تجلس أمامك لديها عقدة من أي شيء له علاقة بالقرية"! تبسم "محمد" و"ياسمين" وكانت كلمة "عليّ" خاتمة للجلسة فقد عزم "محمد" على الرجوع للقرية بعد جلسة طيبة استمعت فيها "ياسمين" وأعجبت بالذي سمعته، رغم إنها جلسة جعلت القروي يعيد تفكيره في الزواج مرة أخرى من بنات المدينة، يبدو أن قلبه دق دقات لاتطمئن هذه المرة، فطوال الطريق ظل يفكر في كلمات "ياسمين" حيث إنها تتكلم كثيرا عن القرية وكأنها على استعداد للعيش فيها، هل هذه هي التي كنت ابحث عنها؟ وهل كلماتها التي قالتها كفيلة بأن اتقدم لزواجها؟ إن الأمر لا يحسم هكذا يا محمد، لا تلدغ من جحر مرتين، الأمر يحتاج للتمهل. ظل يحدث نفسه بهذه الكلمات طوال الطريق ولا يهتدي لجواب يرضيه، وصل بيته ودخل الغرفة دون أن يحدث أحدا وكأن عينيه

ولسانه وعقله توقفوا في هذه اللحظات وبعد أن خلع ملابسه استلقى على سريره ليسكمل ما انقطع من تفكيره.

دخلت الأم غرفته وحملت ملابسه لتغسلها وجالت في الغرفة كثيرا وهو لم يلحظها! نظرت لابنها نظرة عجب: "محمد.. محمد.. ما بك يا بني؟ هل هناك شيء معك"؟ "لا يا أمي، فقط اتعجب من القدر كيف يرتب لنا الامور ونحن لا ندري؟ لقد ذهبت إلى عليّ وتناولت عنده الغداء كما اتفقنا أمس، وهناك في بيته رأيت فتاة لها عقلية أعجبتني ولسان ادهشني حديثه وأدب لا يُعْلَى عليه، لقد كانت في قمة الأدب والاحترام، وقد لاحظت أنها مرحبة بالعيش في القرية ومستعدة لها"!

نظرت الأم لابنها وملامح خوف من المجهول يخالطها شيء من القلق قائلة له: "يا بنى عليك أن تفكر جيدا فانت تعلم أني أريد لك الخير، لكن عليك أولا أن تتحدث مع أبيك بخصوص هذا الأمر". "بالتاكيد يا أمي الأمر كله لم يبدأ بعد، وأنت وأبي الأهم عندى، لكن أين أبي الان"؟ "عند الأرض، اذهب إليه وتحدث معه وإن شاء الله خير".

ذهب "محمد" إلى أبيه ليقص عليه الأمر وكانت حينها الشمس اقتربت على المغيب، وصل "محمد" وإذا به يجد أباه مازال يعمل في الأرض، هذا الرجل الذي يرى الأرض كل حياته ويتمنى أن يفني حياته كلها وهو يعمل بها، اشفق "محمد" على أبيه من شدة

الارهاق: "أبي، أما يكفيك ما تعانيه طوال اليوم وتصر على العمل إلى هذه الساعة؟ كفاك وارتح قليلا" ضحك "متولي" وهو يقول: "لقد قلتها لك وسأقولها ثانية، هذه الأرض هي روحي وكياني هذه الأرض هي الأنفاس التي تخرج مني ياولدى، لو أنني تركتها للحظات أحس بأن روحي فارقتني! وأخي اليوم يدَّعي أنها أرضه وكلما قابلني ليس لديه إلا التهديد والوعيد، ويعلم الله يا بني أني لم آخذ شيئا حراما من أحدٍ قط، هداه الله لرشده".

"عمي دائما ينغص عيش كل من حوله بما فيهم ابنه، وإني أخاف أن تأتي الأذية لخالد ويكون سببها أباه أو نكون نحن ضحية لأفعاله الطائشة، المهم دع هذا الأمر الآن واصغ إلي فقد جئتك مستشيرا في أمر مهم ولك الأمر والنهي فيه! وبدون مقدمات هو عن زواجي فقد رأيت فتاة تناسبني وعقليتها تعجبني". "ومن أي مكان هذه الفتاة؟ هل رضِيتَ ببنات القرية كما أرادت أمك"؟ "لا إنها من المدينة، هي أخت عليّ صديقى الذي كان عندنا منذ يومين، أنت لم تكن بالبيت عندما جاء، ولكنها يا أبي في قمة الأدب والاحترام، وجئت إليك لأسمع منك الرد بالموافقة أم بغيرها، ولأفهم منك ما علي فعله في هذه الامور". "وكيف لي أن أرفض أمرا فيه سعادتك يا بني؟ اعلم أني بجانبك دائما ولن أتخلى عنك، ولكن نصيحتي لك هي بِرُّ أمك أولا وقبل أي شيء". "لا تقلق يا أبي فموافقتها متوقفة على موافقتك والحمد لله أنك وافقت فهذا شيء يسعدني". وبينما "محمد" يتحدث مع أبيه والسعادة تغمر قلبه رُفع

أذان المغرب فتوقف حديثه ثم قال: "هيا يا أبي لنصلي ويفعل الله ما يريد". ذهب الاثنان للمسجد وأديا الصلاة في جماعة وكان من عادة الإمام أن يلقي درسا بعد صلاة المغرب كل يوم، وإمام المسجد هو الشيخ "عيسى"، لقد كان رجلا يحبه الجميع لصلاحه ولأنه بمثابة القدوة للجميع في القول والعمل وكان مأذونا شرعيا للقرية ثم اعتزل هذا الامر ليتولى إمامة المسجد ومن بين الناس التي كانت تحب الشيخ "عيسى" ويحبها هو "متولي" لصلاحه هو الآخر وقد كان دائم الجلوس مع الشيخ.

انتهى الشيخ من درسه وانصرف الناس إلا "محمد" وأبوه قاما وتوجها إلى الشيخ الذي قابلهما بترحاب شديد وجلسوا يتحدثون، وأراد "متولي" أن يمازح الشيخ كعادته: "إن شاء الله يا شيخنا أنت من سيعقد قران ابني محمد قريبا، ولن اسمح لك بالاعتذار". تبسم الشيخ واعتدل في جلسته: "كيف لي أن أتأخر عن العزيز ابن العزيز؟ وأنا وإن كنت اعتزلت هذا منذ زمن فلأجلك ولأجل محمد سأفعلها إن شاء الله". "بارك الله فيك يا شيخ وحفظك من كل سوء". تبسم "محمد" وهو يدعو لشيخه ليرد عليه قائلا: "آمين وإياك يا بني".

وبعد جلسة جميلة بينهم توجه "محمد" وأبوه إلى بيتهما فكلاهما مرهق اليوم، وعند وصولهم وجدا جليلة قد أعدت لهما العشاء فجلسوا للطعام وقبل أن يقوم "محمد" من مكانه قال "متولي"

ممازحا "جليلة": "سمعت يا جلية انك أبديت رأيك في أمر دون الرجوع إليّ، كيف هذا"؟ نظرت "جليلة" وهي تعلم أنه يمازحها فردت هي الأخرى ممازحة: "أنا لن أرد عليك ولكن سأقول لك شيئا مهما، أتذكر يوم جئت لأبي؟ أتذكر الكلمات التي التي قلتها لك أمام أبي"؟ "وكيف لي أن أنسى ذلك؟ لقد وقفت يا محمد بجانب أبيها وهي تقول: لو أن أبي وافق عليك سأجعلك ملكا وسأكون أمك بعد أمك وابنتك قبل بنتك وإن لم يوافق فستكون أخي ما حييت! وأنا في قمة التعجب كيف جاءتها كل هذه الجرأة لكي تقول هذه الكلمات؟ ومن وقتها يا بني وأمك تنظر لي كما قالت ولا تنطق بشيء إلا اذا رجعت إلي أولا، فهي نعمة لا تتكرر وأنا دائم الحمد لله على هذه النعمة". تبسمت "جليلة" وهي تنظر لزوجها قائلة له: "حفظك الله من كل سوء أبا محمد".

ظل الحديث موصولا بعد العشاء وكانت جلسة جميلة وأثناء الحديث وبينما كان ابوه يتحدث عن أمه وكيف كان حديثها، كان "محمد" يشرد بذهنه قليلا ليتذكرتلك الفتاة فقد كانت الكلمات التي سمعها منها تتردد في أذنه وكلمات أبيه عن أمه جعلته يتمنى لو أن زوجته أصبحت بهذه الصفات التي يتمناها أي رجل، وفجأة وبدون تردد عقد "محمد" النية حينها أن يتحدث مع أخيها ليسمع رده، ولكن الأمر يتطلب وقتا حتى يتدبر الأمر في ذهنه حتى لا يندم على شيء.

جاء صباح جديد مختلف عن غيره، فقد كان يتخلله شيء لم يكتمل بعد. توجه "محمد" إلى المدرسة مبكرا كعادته وبينما هو في طريقه تصادف بـ"خالد" رفيق الروح. "صباح الخير يا خالد". "صباح الخير يا محمد، منذ يومين لم أرك، أين كنت"؟ "موجود ولكن يا خالد ألهتنى بعض الأمور سأراك اليوم بعد أن أعود من المدرسه اتفقنا"؟ "اتفقنا يا أخى". لقاء على عجل بعده انصرف كل منهما إلى عمله حتى يلتقيا آخر النهار.

سار "محمد" إلى المدرسة وبدأ يومه الدراسي كغيره دون أن يتحدث إلى أحد عما يجول في ذهنه لينتهي اليوم الدراسي سريعا ويعود إلى البيت. عند أذان عصر ذلك اليوم تذكر "محمد" موعده مع "خالد" فتوجه إلى المكان الذي كان يلتقيان فيه، فهو المكان الذي اعتاد أن يجد فيه راحته النفسية. عند وصوله وجد "خالد" ينتظره "خالد، كيف حالك يا أخى"؟ "بخير والحمد لله وأنت كيف حالك"؟ "أنا الحمد لله لكن هناك أمرا جديدا وقلق بشأنه ولا أدري إن كان فيه خير أم شر، وجئت لآخذ منك الرأي بخصوصه". "وما ذاك ياأخي"؟ "لقد تعرفت على مدرس بالمدرسة واستضفته في بيتي لتناول الغداء وبعدها بيومين ذهبت أنا إلى بيته استجابة لدعوته وتناولت معه الغداء، وحينها رأيت فتاة من أجمل ما خلق ربي، لقد رأيتها من قبل لكن كان لقاؤنا سريعا، لكنها هذه المرة جلست معنا، إنها أخت صديقى، وتحدثت إلي وجاء في عقلي إنها ستكون مناسبة

فكلامها يريحني وعقليتها تعجبني وفوق كل ذلك أدب ليس بعده أدب".

نظر "خالد" إلى "محمد" بتعجب مما يسمع: "سبق أن قلت إنك لن تفكر ببنات المدينة مرة ثانية، جلسة واحدة مع فتاة وتغير رأيك هكذا"؟ "كنت قد كرهت بنات المدينه من تصرفاتهن ولكن بعد أن رأيت هذه الفتاة وكلامها الطيب وثيابها المحتشمه غيرت رأيي"!

"وماذا عن أبويك"؟ "لقد تحدثت معهما وأبديا موافقتهما، وأريد أن أسمع ردك أنت ". "اسمع يا محمد لقد تعودت أن اقول لك ما أحس به ولن أخفى عنك شيئا، إن كانت الفتاة كما تقول فتوكل على الله ولكن إن كان الامر مجرد مظاهر مؤقته وثيابها وشخصيتها مصطنعة لأجل زيارتك لهم.. فلا يا أخي". "وكيف لي يا خالد أن أعرف ذلك"؟ "سأقول لك، غدا لا تذهب إلى المدرسة، وتوجه إلى المدينة، إلى بيت عليّ"! "ماذا تقول يا خالد؟ أتعي أذناك ما يقوله لسانك"؟ "نعم، لأن هذا سيكون اختبارا، عندما تصل اطرق الباب وتنكر بحيث لا تعرفك، فإن فتحت الباب وتحدثت معك كثيرا ورأيت ثيابها فيها شيء من الخلاعة فهى كأهل المدينة لا تناسبك وإن بدر منها عكس ذلك فاعلم أنها تناسبك وهى من ستكون زوجتك المستقبليه إن شاء الله".

سمع "محمد" هذه الكلمات من "خالد" وعلم أنه على حق ولكنه تمنى أن يخلف الله ظنه ويراها كما كانت أول مرة، ولكن ليس كل

ما يتمناه المرء يدركه فبنات المدينء لسن كبنات القرية فمنهن التي على خلق ومنهن غير ذلك. وفى الصباح جديد قام "محمد" من نومه وتوجه إلى المدينة قاصدا بيت "عليّ" وتنكر جيدا حتى لا تعرفه "ياسمين"، وعندما وصل إلى البيت طرق الباب ثلاثا وعند المرة الثالثه سمع صوتا من خلف الباب يناديه: "من أنت؟ رجل البيت ليس موجودا"! "أنا بائع اسطوانات الغاز أتريدون واحدة"؟ "لا عندما يأتي رجل البيت آخر النهار، اذهب الان".

حينها عرف "محمد" أن هذه زوجته ولن يتخلى عنها وسيقاتل من أجلها الدنيا! رجع إلى القرية وهو في قمة سعادته، لقد علم أن اختياره كان مناسبا والفتاه التي أرداها تصلح لأن تكون زوجة صالحة وأما مثالية في المستقبل.

بعد ان انصرف "محمد" رجعت "ياسمين" إلى عملها حيث كان لديها أعمال منزلية كثيرة هذا اليوم، وبينما هي كذلك تذكرت ذاك الشاب الذي جاء مع أخيها وكلماته التي أعجبتها فتركت ما كانت تقوم به وجلست تفكر وشردت بذهنها: "هل القرية فيها أناس لهم عقول كهذه العقلية أم إنه حالة خاصة وفريدة؟ لكنه حقا ذو عقلية راقية ومظهر جذاب تمنيت لو كان هذا زوجي المستقبلي وتمنيت لو عشت في القرية ورأيت ما فيها ورأيت أهلها وعاداتهم فالبيئة التي تخرج أناسا كهذا لا يمكن أن تكون بيئة فاسدة". ظلت تحدث نفسها ولم تكن تدري أن القدر يرتب لها أمنيتها ويسوق لها هذا

الرجل على طبق من فضة، ولكن هل سيتم أمرهما أم أن ثقافة القرية وثقافة المدينه ستقفان عائقا أمام سعادتهما؟

الفصل الثالث

موت وفراق

رجع "محمد" بيته وعند وصوله وجد شيئا غريبا، أهل القرية مقسمون إلى جماعات متفرقة وكل جماعة يتحدثون في مكان، كانوا يتهامسون بصوت لا يفهم وصمت خيم على المكان، والذي أقلقه أكثر وقوف سيارة شرطة في بداية الطريق، حينها خطر بباله أن أمه أو أباه قد جرى لهما شيء، هرع إلى بيته يجري وإذا به يجد أمه تبكي! "ماذا جرى يا أمي؟ هل حدث شيء لأبي أجيبيني ارجوك".

"عمك، هذا الجبان، أراد أن يضرب أباك بالعصا وبينما كان خالد يقف أمام أبيه ليبعده عن عمه تلقَّى ضربة قويه على رأسه بالخطا كان المقصود بها أباك"! "وأين خالد الآن؟ وأين أبي"؟ "لقد أخذه أبوك إلى الوحدة الصحية بالقرية مع جماعة من الرجال الحق بهما يا ولدي واطمئن عليهما"!

أسرع "محمد" إلى الوحدة الصحية ولكنه يعلم أن الوحدة لا تعمل آخر النهار لكنه ذهب ليسال عن خالد وأبيه، ولكن قبل أن يصل إلى هناك كانت سيارة إسعاف أخذت "خالد" ويرافقه "متولي" إلى مشفى المدينة. أسرع "محمد" إلى المشفى و نبضات قلبه في تزايد

وتفكيره لا يتوقف، هل مات "خالد" وإن لم يمت ما حالته الآن؟ وهل إصابته كبيرة أم إن الأمر بسيط؟ لكن كيف يكون بسيطا؟ لقد ضُرِبَ بعصا! ظل "محمد" طوال الطريق هكذا شارد الذهن يتمنى أن يرى خالدا مرة أخرى بخير.

وصل "محمد" المشفى وتوجه إلى مدخل الطوارئ عله يجد "خالد" وأباه لكن لم يجدهما، حينها توجه إلى الطابق العلوي فوجد أباه يقف هو وعمه وجماعة من القرية أمام غرفة العمليات: "أبي، ماذا حدث لخالد"؟ "لا تقلق يا محمد، إنه بغرفة العمليات وإن شاء الله سيكون بخير. كل ما علينا الآن أن ندعو له". نظر "محمد" إلى عمه متعجبا من تواجده: "يا لك من وغد! إنسان بلا رحمة كيف سولت لك نفسك أن تصيب ابنك أو أخاك بسوء؟ ورب الكعبة لو حدث شئ لخالد سأقتص منك وستحاسب على جريمتك"! "محمد! كفاك! اترك الحديث الآن فهذا ليس وقته"! بهذه الكلمات قاطع "متولي" كلمات اللوم التي كان يوجهها "محمد" لعمه.

لحظات طويلة وانتظار قاتل ووقت لا يمر، ثم فجأة خرج الطبيب من غرفة العمليات: "المصاب يحتاج نقل دم الآن فحياته في خطر"! فزع الجميع وتقدم "جمال" لينقذ ابنه فأوقفه "محمد" ليتقدم هو لكن "متولي" الذي يحب خالدا حبا جما لم يكن ليرضى لأحد غيره أن يتبرع له!

"محمد توقف أنا أولى بذلك، فالذي بالداخل هو ابني وأنا من سيقدم له الدم"! دخل "متولي" صاحب الخمسين عاما ولكن حبه لخالد فوق كل اعتبار آخر، وبينما "محمد" وابوه يتصارعان لنجدة خالد أدرك حينها "جمال" أنه كان على خطأ في كل ما كان يفعله وأن الدنيا لا تساوي شيئا أمام محبة الناس لبعضهم. بعد دخول "متولي" بلحظات خرج ووجه مصفر بسبب الدم الذي سحب منه، أسرع إليه "محمد" وأجلسه بجانبه وذهب ليحضر له زجاجة عصير.

مرت ساعة ولم يخرج أحد من غرفة العمليات، الجميع ينتظرون خروج "خالد" لكن الأمر تأخر والكل في قلق، وكلما تأخر الوقت كلما ازداد القلق. خرج الطبيب أخيرا وقال جملة صدمت الجميع وأذهبت عقل "محمد": "لقد فعلنا كل ما بوسعنا ولكن القدر قد سبق في الحكم، البقاء لله"! لو أن الطبيب أخرج سلاحا ناريا وأفرغ طلقاته كلها في قلوبهم كان أفضل من أن يقول هذا الخبر! ظل "محمد" يصرخ مستنكرا ما سمع، دخل لخالد ليراه: "خالد! أجبني يا خالد! يا أخي يكفي مزاحا فقلبي لا يحتمل هذا أبدا! إن لم تقم فسأبتعد عنك وساخأصمك"! يحتضنه وقلبه منفطر، بينما "متولي" يبكي ولسانه لم يقدر أن يقول شيئا، الكل متأثر، أما "جمال" الذي كان سببا في قتل ابنه، فظل يبكي وهو يقول "كل المصائب إلا هذه المصيبة! بيدي هذه قتلتك يا ولدي! بيدي هذه قطعت أجمل شيء أعيش لأجله! آه ياخالد! آه يا ولدي"!

سمعت القرية بالخبر، فجاء الرجال يتوافدون على المشفى وانتظر الجميع جثة "خالد"، وجاء رجال الشرطه لإلقاء القبض على أبيه وسط اعتراض من أهل القرية، لكن الشرطة لم تصغ لذلك، فهذا القانون ولابد للقانون أن يطبق على الجميع، استلم الأهالي الجثة ودخلوا بها القرية، الجميع حزين على "خالد" ذلك الشاب الذي لم يعرف عنه سوء قط، كان بسَّامًا ضحَّاكًا لا يؤذى أحدا، أكثرهم حزنا كان "محمد" الذي كان يعتبر "خالد" أخا له، موته كارثة تتوقف عندها الدنيا! دموعه لا تجف ويده لم تترك النعش طوال الطريق.

وصلت الجنازة إلى المقابر وسط حضور غفير ودُفن "خالد" والعيون عليه تذرف دما بدلا من الدموع . بعد الدفن انصرف الجميع إلا "محمد" ظل يبكي فوق القبر: "خالد! مع من أجلس واتحدث بعد اليوم؟ لمن أفضي بسري بعدك يا رفيق الدرب وعزيز النفس"؟ أبوه يقف فوقه ولا يدرى أيُهَوِّنُ على نفسه أم يُهَوِّنُ على ابنه: "هيا يا بني، ولا تذرف دمعة بعد الآن، خالد يتألم لدموعك هذه يكفي تدعو له يا ولدي". "كيف يا أبي؟ إنه خالد"! رفع "متولي" "محمد" واحتضنه ليخفف عنه ورجعا إلى البيت. كانت أم "محمد" كذلك في صدمة فقد كانت تحب "خالد" كابنها، عند دخول الاثنين كانت أم "محمد" تنوح على خالد وقلبها يتقطع: "لقد أثرت في قلوبنا جميعا يا خالد، آه يا بني لو تعلم كم أحبك! آه يا خالد! لقد كنت أحب أمك وقد ماتت! وقد رحلت أيضا إليها يا بني"! ظلت أم "محمد" تردد هذه الكلمات فأوقفها زوجها: "أم محمد أستحلفك بالله أن تكفى عن

هذا، محمد منهار وأخاف عليه وحزننا على خالد وضعناه في قلوبنا وليس بوسعنا إلا الدعاء له، كان من أقرب الناس إلى قلبي والله يشهد على ذلك".

قام "محمد" من جانب أبيه فأمسك أبوه بيده: "أين ذاهب يا بني"؟ "الذي كنت أذهب اليه مات! دعني يا أبي، أريد أن أبقى وحيدا". تركه أبوه وهو متاثر من حاله، توجه "محمد" إلى غرفته وهو مازال في حالة لايحسد عليها، ما حدث لخالد هز عزمه وأوهن قواه، دخل غرفته وأغلق الباب وأمه تنظر إليه وهي لا تدري أتبكي على من مات أم تبكي على حال ابنها؟ قلبها يتقطع وعيناها لا تكف دموعهما.

جلس "محمد" في غرفته لا يدرى ما يفعل؟ هل يبكي؟ حتى وإن ذرف من الدموع ما يملأ البحار فهل هذا كافٍ؟ إنه خالد الذي لو أراد "محمد" أن يقسم عمره لوجد أن خالد قد عاش أغلبه معه لا يفترقان عن بعضهما، خالد الذي كان يقدمه على نفسه، خالد الذي كان لا يتركه في الخير ولا في الشر!

وبينما هو شارد ذهنه تذكر يوما قال له خالد: "اسمع يا محمد، إن عشنا سنعيش معا وإن متنا نموت معا ولن نفترق يا أخي". تذكر "محمد" ذلك وانهار وظل يردد: "لقد عشنا معا ومت وحدك يا خالد! عشنا معا ومت وحدك يا أخي! عشنا معا ومت وحدك يا صديقى"! كان يقول هذه الكلمات وهو يصرخ، سمعت أمه صرخاته فهبت إليه

مسرعة فتحت الباب فإذا به على الأرض ومازال يردد كلماته، جاء بعدها أبوه يحتضنه: "اهدأ يا محمد هون على نفسك يا ولدي واطلب له الرحمه، أعلم أن الفراق صعب ولكن علينا أن نرضى يا بني، إنها إرادة الله، قم يا بني وارتح قليلا وارض بقضاء الله وقدره، أنت متعلم وتعرف من الدين ما لانعرفه نحن". قام "محمد" واستلقى على السرير لعل نفسه تهدأ، ظل أبواه بجانبه إلى أن هدأ وعادت إليه السكينة، بعدها تحرك أبوه وبعده أمه من جانبه وخرجا.

"أبا محمد، ولدك يضيع! عليك أن تجد له حلا قبل أن يسيطر عليه الحزن ولا يستطيع الخروج من هذه الحاله أبدا"! "اعذريه يا أم محمد فالذى فارقناه اليوم كان أخاه، كانا معا ليل نهار، وكما كان لمحمد أخا فقد كان لي ابنا ويعز علي فراقه، خالد فارق الحياة يا جليلة لأنه أراد أن يبعد عني أذى أبيه"! دمعت عينا "متولي" "هون عليك يا أبا محمد واستغفر الله، إنها آجال ولكل أجل كتاب". "أستغفر الله العظيم، سأذهب أنا الآن للديوان لتلقي العزاء، اعتني بمحمد يا جليلة، هو في حاجة لمن يخفف عنه ويعيده إلى حالته الطبيعية".

ذهب "متولي" إلى الديوان وتلقى العزاء في ابن أخيه وعيناه لا تكفان عن الدموع، وظل الناس يتوافدون لمواساته فيما حدث.

انتهى العزاء عند أذان العشاء، حينها توجه "متولي" للمسجد وبعد أن أدى الفريضة جلس في المسجد والهم لا يفارقه أبدا، وبينما هو على حالته جاء إليه الشيخ "عيسى" سلم عليه وعزاه في خالد:

"البقاء لله يا أخي أحسن الله عزاءك في ابن أخيك". "سبحان من له الدوام! كان من أقرب الناس إلى قلبي ومات مدافعا عني! لم يرضَ يوما عن إيذاء أبيه لي! مايزيد همي يا شيخنا هو محمد، حالته سيئة جدا". "لا حول ولا قوة إلا بالله! "أوْصِهِ بالصبر، عليه أن يصبر ويدعو لابن عمه، أعلم أن المصيبة كبيرة عليه". "أريد منك شيئا يا شيخ، أريدك أن تأتي معي لمحمد وتوصيه أنت بذلك، فحالته تخيفني وقلبي قلق عليه وأخاف أن يمتد تأثير هذا الأمر ولا يعود لطبيعته". "هيا بنا لنذهب إلى هذا الولد واتركه لي أنا من سيكلمه"! ذهبا إلى "محمد" ولما دخل عليه الشيخ نهض "محمد" من جلسته وقام ليسلم على الشيخ: "ما هذا يا محمد؟ كيف لك أن تسلم نفسك بهذه السهولة إلى الحزن والهم؟ أنت تعلمت، وتعلم أن هذا قدر الله وليس لنا شفاعة فيه! لقد انتهى أجل خالد وسقطت ورقته"!

"اعلم ذلك يا شيخ، ولكن ما يتعبني أن يموت في شبابه، ومن يقتله أبوه! هو لم يرتكب أي شيء ليعاقب بالقتل"! "يا ولدي لا تقل ذلك، لقد أمرنا الله بالصبر وأن نقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أوصانا أن نفعل عند الشدائد وموت أحبابنا، فهم وإن رحلوا عن عالمنا فقريبا سنرحل نحن إليهم وعندها لا فراق. ارجع إلى صوابك يا بني وقم وصَلِّ وادعُ لأخيك بالثبات عند السؤال والرحمة". "أتعلم يا شيخ أن خالد كان يقاسمني كل شيء في حياتي؟ أنا أعلم كل ما تقوله وما تود أن تقوله وأحفظ الأحاديث والآيات الكريمة التي تتحدث عن الموت والصبر عند البلاء، ولكن الفاجعة

كبيرة جدا، كلما أردت أن أهون على نفسي تذكرته وتألمت عليه وعلى فراقه! كأننى أحس بشعلة من النيران في صدرى"!

"اهدأ يا محمد وتذكر أن لكل أجل كتاب وأن الله هو من أراد ذلك وعلينا الرضى، اجلب المصحف يا متولي". أسرعَ "متولي" وأحضر المصحف وأعطاه للشيخ فأخذه: "خذ يا محمد، أنا لن أرقيك ولن أنفعك بشيء! يكفيك أن تفتح كتاب ربك وسترتاح إن شاء الله".

خرج الشيخ "عيسى" تاركا "محمد" مع مصحفه، ظل يقرأ ويبكي وكلما زاد في القراءة زاد في البكاء. وبينما هو على حاله كان الشيخ "عيسى" في الخارج يتحدث مع أبيه: "متولي، ابنك مصدوم وعليك أن تخرجه من هذه الحالة قبل أن تسيطر عليه". "ولكن كيف أخرجه منها يا شيخ؟ إنه يحزنني كلما رأيته هكذا". "اسمع يا متولي كلما اقترب موعد الصلاة اصطحبه إلى المسجد وان شاء الله سيتحسن إلى الأفضل وسيكون بخير فلا تقلق وكن على يقين بأن الله عالم بكل شيء ولن يترك ابنك هكذا". أنهى الشيخ كلامه وجلسته ومضى. "محمد" مازال في غرفته يقرأ ويبكي وعيناه لا يجف دمعهما وأبواه في الخارج لا يتوقف لسانيهما عن الدعاء له بأن يعود كما كان.

ظل "محمد" هكذا على حاله خمسة أيام لا يخرج من غرفته ولا يحدث أحدا واذا جاء موعد الصلاة صلى في غرفته، فقد كره الناس وكره الاختلاط بهم! وفي ليلة اليوم الخامس نام بعد أن صلى العشاء

وصورة "خالد" لا تغيب عن باله أبدا. وعند منتصف الليل رأى "خالد" في منامه وهو بثياب بيضاء ووجه مشرق، اقترب منه "محمد" وظل يتحدث معه بلهفة: "خالد! أين ذهبت؟ لقد أحزننى بعدك عن! أشتاق لجلستك معي، أشتاق لكلامك يا أخى". ظل "محمد" يتحدث اليه ولكن "خالد" اكتفى بابتسامته الجميلة وكان يجيبه بكلمة واحدة فقط: "أبي يامحمد! أبي يامحمد". عندها استيقظ "محمد" من نومه وهو لا يفهم ماذا أراد "خالد" أن يوصله له من حديثه؟ وبينما هو على حالته سمع صوت الأذان فقام من سريره وتوضأ، ورآه أبوه وهو يتوضأ ففرح وحمد الله وتوجها معا إلى الصلاة، وبعد أن أديا الفريضة في جماعة قام "محمد" إلى الشيخ "عيسى" ليتحدث معه بخصوص تلك الرؤيا التي رآها في منامه: "شيخ عيسى أريد أن أحدثك في أمر مهم". "قل يا محمد فأنا أسمعك". "لقد رأيت خالدا في منامي في ثياب بيضاء وكلما تحدثت معه كان يجيبنى: أبى يامحمد! ماذا يعنى ذلك يا شيخ؟" تبسم الشيخ وكادت تذرف عيناه ثم قال: "خالد يا محمد نحسبه على خير، لقد كان إنسانا طيبا يحبه الجميع ولأن الكمال لله وحده فقد كان لخالد أب لا يرحم وإنسان لم تدخل الشفقة إلى قلبه في حياته، وأنا أوضح لك ما رأيت يا بني والله أعلم، فاسمع، إن خالد رغم إن أباه هو من تسبب في قتله لكنه لا يريد له السجن ومن واجبك أن تساعد أباه ليس لأجله بل لأجل خالد، فاسْعَ في نجدته لأجل خالد"! نظر "محمد" إلى الشيخ وكأن عقله لا يريد أن يصدق ما تسمعه أذناه "لكن يا شيخ كيف هذا؟ وكيف أساعد رجلا أراد قتل أبي ولولا خالد

لقتله؟! كيف أساعد من حرمني رؤية أعز إنسان إلى قلبي؟ أيعقل هذا يا شيخ"؟ "محمد! إن لم تساعده فستكون سببا في تألم أعز إنسان إلى قلبك في قبره، فعليك الأن أن تساعده يا بني"!

قام "محمد" من عند الشيخ لا يدري ماذا يفعل! هل يساعد هذا الرجل ويخرجه من محبسه؟ وإن خرج ستتجدد العداوة بينه وبين أخيه ويفكر في الانتقام! وإن كان فشل في قتل أخيه في المرة السابقة فهذه المرة ستكون هي القاضية وسيحقق ما أراد! ظل "محمد" طيلة الطريق يفكر ولا يدري ماذا يفعل وكيف يواجه هذا الامر؟ دخل غرفته وعقله لايكف عن التفكير، فكلا الأمرين صعبٌ إن ساعد عمه فهو خاسر لا محالة، وإن لم يساعده فسيكون عرضة لتأنيب الضمير كلما تذكر خالد! بعد أن مل من التفكير فجأه قرر أن يساعده! فخالد أغلى من أي أمر آخر وكما أنه كان يستمع لنصائح "خالد" في حياته فلن يخذله بعد مماته. قام من سريره ولبس ملابسه وخرج من غرفته، عندها تهلل وجه أمه لما رأته: "محمد، هل أنت ذاهب إلى المدرسة"؟ "لا يا أمي لدي أمر ضروري ولابد من قضائه". "موفق يا بني إن شاء الله، ولكن قبل أن تخرج تعال وتناول الإفطار". "لا يا أمي فأنا في عجلة من أمري، سأذهب الآن"! خرج "محمد" وهو يقصد الأستاذ "درويش" محامى القرية يسأله عن هذه القضية.

وصل إلى بيت الأستاذ "درويش" وأرسل أحد الجالسين أمام بيته لينادیه، فجاءه: "السلام عليكم أستاذ درويش"."وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أستاذ محمد، البقاء لله في وفاة ابن عمك". "سبحان من له الدوام! أريد منك خدمة فلا تتأخر عني رجاءً". "كيف أتأخر عنك؟ لقد كنا رفيقين في كل مراحل تعليمنا، أنا سأفعل ما يلزم وأكثر". "أنت تعرف أن عمي في محبسه، أريدك أن تدرس قضيته وتجد لها حلا"!

ظل "محمد" يتحدث و"درويش" ينظر إليه وعيناه لا تصدقان ما تريان وأذناه تستنكران ما تسمعان: "محمد! دقيقة لو سمحت! أتدري عمن تتحدث؟ إنه قاتل صديق عمرك! هذا الرجل لايستحق منك شفقة ولا رحمة، من لم يرحم عزيزنا فلا رحمة له"! "أتدري يا درويش لو رجعنا بالعمر يوما واحدا لكنت قلت كلامك هذا، لكن هناك ما يجبرني على فعل ذلك، فأرجوك يا أخي ادرسها جيدا واعطني ردا عندما تصل لشيء". تركه "محمد" متوجها إلى الأرض.. لقد حَنَّ إلى رؤيتها والجلوس بجانبها.. ذهب لعله يجد فيها شيئا من الراحة التي حرم منها، وعند وصوله هناك رأى أباه يعمل فلم يحدثه وآثر أن يجلس جانبا ويطلق لخياله العنان، ولكنه فجأه وبدون أية مقدمات ظل يبكي وعيناه لا تتوقفان، هذا المكان كان يجلس فيه هو و"خالد"! كان مكانهما المفضل! كان كل منهما يحكي للآخر همومه وما يعانيه في الدنيا. "آهٍ يا خالد! لمن أتحدث بعدك ومع من اجلس"؟ ظل يتلفظ بهذه الكلمات ودموعه لا تجف حتى رآه

أبوه فجاء اليه، علم أبوه أن السبب ذكرى جاءت على خياله وهم جديد زاره فأسرع اليه كى يحدثه ويخفف عنه.

"محمد! مابك يا بنني لمَ كل هذه الدموع؟ أما كنت قد عدت إلى طبيعتك يا بني"؟ "كيف يا أبي؟ إنه خالد وموته ترك في قلبي علامة وجرحا لا يُشفيان" "يا بني كل شيء في هذه الدنيا يولد صغيرا ثم يكبر إلا الموت يولد كبيرا ثم يصغر، ومن طبيعتنا النسيان، هو نعمة من الله وحده فعليك بالرضا، هوّن على نفسك". "أبي أريد أن أقول لك شيئا، لقد رأيت خالد ليلة امس في منامي، وظل يردد لي ويوصيني بأبيه وعندما تحدثت مع الشيخ عيسى قال لي إنه يريدك أن تساعد أباه كي يخرج من السجن، وفكرت في الأمر كثيرا، خالد غالٍ على قلبي ومطلبه واجب النفاذ، فقررت أن أساعد أباه"!

"يا محمد، أنت تعلم ما كان بيني وبين عمك، لكنك تقول وصية خالد، فافعل ما ترى". " لقد تحدثت مع الأستاذ "درويش" ووعدني أنه سيجد حلا". " ولكن يا محمد إن خرج هذا الرجل سيكون مصدر إزعاج لنا وقد يؤذي أحدنا بسوء". "أعلم يا أبي، لكنه خالد، وصعب علي أن أخذله في قبره مهما كلفني الأمر". "افعل ما تراه مناسبا يا ولدي وإن شاء الله لن يحدث شيء نخشاه". "إن شاء الله. أتركك الآن. أنا متعب بعض الشيء سأعود إلى البيت". ترك "محمد" أباه ورجع البيت وقبل أن يدخل غرفته رأته أمه: "محمد، أين كنت يا بني؟ قلقت عليك". "لا عليك يا أمي لقد ذهبت إلى أبي وجلست معه

وتحدثنا ثم تركته لعمله وعدت". "سأجهز لك الطعام يا بني، لقد اشتقت إلى الجلوس معك على مائدة واحدة". تبسم "محمد" في وجه أمه: "لا شهية عندي لأي طعام، لكن لأجلك سآكل يا أمي". تبسمت أمه تبسم الرضا عنه ثم ذهبت لتجهز له الطعام، وبعد أن أكلا معا قام "محمد" ليدخل إلى غرفته ليستريح: "محمد، أما آن الوقت لترجع إلى المدرسة؟ يكفيك حزنا يا بني". "سأعود يا أمي، سأعود، ولكن ليس الآن".

تغيب "محمد" عن المدرسة أياما سبعة حاول خلالها "عليّ" أن يتصل به لكن هاتفه كان مغلقا دائما، وبعد أن زاد تغيبه توجه "عليّ" إلى المدير ليفهم حقيقة الأمر: "السلام عليكم حضرة المدير". "وعليكم السلام أستاذ عليّ، أهناك شيء معك؟". "لا ولكن أردت أن أفهم سبب تغيب الأستاذ محمد، هل نقل من المدرسة أم أن هناك شيئا منعه من الحضور"؟ "كل هذه الفترة ولم تسمع شيئا عما حدث معه؟ لقد تغيب لأن ابن عمه قتل منذ أيام، وقد كان يحبه وكان صديقا مقرب منه قبل أن يكون ابن عمه، وهو حزين عليه للغاية لكنه سيعود قريبا إن شاء الله".

"قُتِل؟!! لا اله الا الله! كيف يقتل ومن قتله"؟ "قتله أبوه المجرم بالخطأ فقد أراد أن يقتل أخاه متولي والد محمد ولكن خالد ابن عم محمد هو من تلقى الضربة بدلا من عمه! وقُتِلَ رحمة الله عليه". "حسبنا الله ونعم الوكيل! كيف يفعل هذا الرجل مثل هذه الجريمة

الشنعاء؟ هل نزعت الرحمة من قلبه؟ حضرة المدير، أريد أن أذهب إلى محمد لأواسيه في كربه، فهلا أذنت لي"؟

"بالتأكيد يا بني اذهب وواسِهِ وعَزِّهِ في ابن عمه، هذا واجب علينا جميعا". خرج "عليّ" من المدرسة قاصدا منزل "محمد" وهو متأثر من هول ما سمع. يعلم أن "محمد" كان يحب "خالد" حبا جما، كان دائما يتحدث عنه أمامه، ولكن الذي كان يحزن "عليّ" كل الحزن هو أنه لم يسأل عن سبب تغيب "محمد" منذ أن غاب، ولكنه له عذره فمحمد كان يتغيب بين الحين والآخر. بينما كان "عليّ" في طريقه ظل يفكر في هذا العالم القروي يبدو من الظاهر جميلا ولكن عندما تفتش في خباياه تجد بداخله مصائب كثيرة، إنه حقا عالم غريب! وقبل أن تنتهي المسافة بين المدرسة وبيت "محمد" التي كان يعرفها "عليّ" جيدا جاء في ذهنه كيف سيبرر له قلة السؤال وماذا سيقول له في حزنه، وصل "عليّ" إلى باب بيت "محمد" وطرقه، وإذا بمحمد يخرج وكأنه شخص غير الشخص الذي كان يعرفه! ظهرت لحيته التي أعفاها، كان عُرْفًا عند أهل القرية في الحزن أن تُعْفَى اللِّحى! وكما ظهرت لحيته على وجهه ظهر كذلك الحزن والاكتئاب: "محمد، كيف حالك يا أخي"؟ "عليّ، أهلا بك يا صديقي، أنا بخير الحمد لله، تفضل ادخل". "عظم الله أجرك في وفاة أخيك خالد". "سبحان من له الدوام! مات أعز الناس على قلبي يا عليّ، لقد كان صديقي وأخي وعزيز نفسي.. لقد مات..." لم يستطع "محمد" أن يكمل كلماته وإذا بدموعه تنزل فاحتضنه عليّ:

"هون عليك يا أخي واصبر، هو عند خالقه ويوما ما سنذهب إليه فهذا حالنا فيها". "ادخل يا عليّ تعالَ نكمل حديثنا في الداخل". دخلا معا وبعد أن جلسا وبينما كانا يتحدثان دخلت أم محمد وضعت الشاي على الطاولة وسلمت على "عليّ": "كيف حالك يا ولدي"؟ "بخير يا أمي، البقاء لله". "سبحان من له الدوام يا ولدي! أريدك يا عليّ أن توصي محمد، أن يعود إلى عمله، كفاه حزنا"! "سأوصيه، وإن كان يعلم كل ما سأقوله له، مثله لا يقال له شيء عليه فقط أن يذكر نفسه". تركتهما أمه ليكملا حديثهما: "كفاك يا أخي! أعلم أنك كنت تحبه ولكن الأمر كله لله، فهل نعترض؟ لكل أجل كتاب يا أخى وكلنا سنموت". "يعلم الله يا عليّ انى كنت أنهى الناس عن الحزن وعن البكاء عند وفاة أحدهم، لكن عرفت الآن أن الأمر ليس بيد أي شخص، فالحزن الذي يكون بقلب مَنْ فقد حبيبه لو وزع لكفى أهل الارض كلهم". وبينما كان الحديث موصولا إذا بشخص ينادي من خارج البيت فخرج "محمد" إليه وبعدها بلحظات دخل ومعه الأستاذ "درويش" المحامى، لقد جاء لمحمد ليعلمه بما وصل اليه، "هذا أستاذ عليّ مدرس بمدرستنا وهذا الأستاذ درويش يا عليّ". سلم الاثنان على بعضهما وبعد أن جلسوا: "ماذا وجدت يا أستاذنا"؟ "أستاذ محمد، بعد أن درست القضية وجدت بعض الثغرات التي ستساعد الحاج جمال، ولكن لا مفر من الحكم عليه، لكن سيكون الحكم مخففا جدا إن شاء الله بعد أن أقدم هذه المذكرة. لكن أباك لابد وأن يحضر حتى يدلي بشهادته مرة أخرى، وعليه أن يكون دقيقا ولا يتحدث عن المشاجرة التي دارت بينهما حتى لا تتخذ ضد الحاج

جمال". "بارك الله فيك. وإن شاء الله سيأتي أبي غدا في موعد الجلسة وأنا معه فلا تقلق". "اتفقنا، أستأذنك الآن لأتابع بقية أعمالي".

كل هذا الحديث يدور و"عليّ" يسمع ولا يصدق ما يسمع! أخرج "محمد" الأستاذ "درويش" وعاد لعليّ وجلس معه: "محمد هل ما سمعته كان صحيحا؟ كيف توكل محامي للرجل الذي قتل خالد"؟ "الموضوع كبير يا عليّ سأقصه عليك فيما بعد، ولكن الآن حدثني عن المدرسة وما دار فيها". "المدرسه بخير وتفتقدك ومؤتمر بعد يومين أو ثلاثة يقام لأول مرة في القرية وفي المدرسة تحت عنوان "الهجرة من القرية إلى المدينة الأسباب والحلول" وأريدك أن تحضر وتقول كلمتك فسيكون هناك شخصيات مهمة وعليك أن تحضر". "لقد كنت أريد ألا أذهب للمدرسة الآن، ولكن عنوان المؤتمر جعلنى أغير رأيي وسأذهب إن شاء الله". "وأنا سأنتظرك، والآن استأذنك". "انت مجنون؟ كيف تذهب ولم نتناول الغداء معا؟ اجلس يا رجل". "تعلم يا محمد أنني لست ضيفا ولا غريبا عنك، لكن هذا ليس الوقت المناسب، دعنى أذهب ولنا جلسة إن شاء الله". "ما لنا والغرباء؟ أنت في بيتك ولن تخرج إلا بعد أن نتناول الغداء"! "لا يا محمد في وقت آخر، دعني وسآتي لك في مناسبة أخرى".

ودع "محمد" صديقه حتى بداية الطريق، ووجد "عليّ" سيارة أجرة توصله إلى بيته، وبعد أن ركب متوجها إلى المدينة رجع

"محمد" إلى بيته وهو يفكر في المؤتمر وعنوانه وكيف سيكون كلامه فيه وماذا سيقول وهل ستتغير نفسيته و مزاجه إلى الأحسن حتى وقت المؤتمر؟ وبعد ان وصل بيته ظل يفكر ويرتب أموره حتى طال به التفكير وأمه تنظر اليه، أرادت أن تسأله عما يفكر فيه ولكنها سكتت، فهي لا تريد أن تضيق عليه في هذا الوقت، واكتفت بالنظر إليه. وبينما هو على حاله كان "عليّ" في طريقه وعن وصوله كانت "ياسمين" جالسة في انتظاره: "عليّ، لماذا تاخرت يا أخي"؟ "كنت عند محمد فهو في حاله صعبة". "محمد؟!! لماذا؟ هل حدث له مكروه"؟ قالت ياسمين كلماتها وهى في لهفه ولهجتها تغيرت وكأنها تعرفه منذ زمن فنظر اليها "عليّ" وهو يتعجب من من ردة فعلها: "لقد قتل ابن عمه خالد رحمه الله"؟ "قتل؟! هل القتل سهل عندهم هكذا؟ كان الله في عون أبيه وأمه". "أمه متوفية، ومع الأسف أبوه هو الذي قتله"! "لا حول ولا قوة إلا بالله، أيعقل هذا؟ أب يقتل ابنه؟ هذا جنون وكيف حال محمد الآن يا عليّ"؟ "إنه بخير، ولكنني أراكِ تسألين عليه بلهفة لم أتعودها منك من قبل، أهناك شيء لا أعرفه يا أختي"؟ احمر وجه "ياسمين" مستنكرة ما قاله اخوها لها: "يكفيك يا أخي! فأنا لست بهذه الصورة وليس هناك أمر حتى أخفيه عنك! أاجهز لك الطعام أم أنك أكلت بالخارج"؟ "لا جهزي أيتها الطاهية الممتازة" تبسمت "يا سمين" وعيناها تفضحانها فيبدو القلق عليها واضحا مما سمعت، قامت لتجهز الغداء وبينما هي تجهز الطعام تذكرت كلمات على وهى تبتسم وظلت تسأل نفسها هل ما قاله "عليّ" صحيحا؟ هل أفكر حقا في "محمد" أم إنه

مجرد إعجاب بشخصية ريفية؟ وهل سيستمر الأمر هكذا أم لا؟ ظلت "ياسمين" هكذا وقتا حتى كادت أن تحرق الطعام!

تناولا الطعام معا وذهب كل منهما لغرفته، حيث ذهب "عليّ" ليريح جسده وعقله من التعب والمعاناه التي يلاقيها من الطريق ومن الشرح، لكن "ياسمين" كان تعبها مختلفا فقد كانت لا تمل وتكل من التفكير في هذا الفارس الذي سيأتيها عما قريب، دخلت غرفتها ليزداد تفكيرها وأحلام اليقظة لا تفارقها ولكن أحلام غريبة فبطلها غير معروف، هل سيكون "محمد" أم إنه إنسان آخر؟ لا تدري! لكن ما تدركه حقا أنها يوما ما سيكون لها زوج سيغير حياتها ويجعلها تعيش الجنة على الأرض وإلى أن يأتي هذا اليوم ستكون "ياسمين" على أتم الاستعداد لاستقبال فارس أحلامها لتمتطي معه الفرس الأبيض ويطير بهما إلى دنيا الاحلام.

وبينما كان الأمر هكذا في بيت "عليّ" و"ياسمين"، كان الوضع مختلفا في بيت "محمد"، فقد دخل غرفته وبدا يجهز أجندته التي سيلقيها أمام المؤتمر، وكأن هذا المؤتمر جاء ليخرجه مما هو فيه، ولكن أمه وأباه في الخارج كانا ما بين الفرح بأنه رجع له نشاطه وبين الخوف من أن يكون نشاطا مؤقتا، وبينما الأمر هكذا إذا بشخص ينادي من الخارج "محمد، يا أستاذ محمد". خرج إليه "محمد" وبمجرد أن رآه تهلل وجهه وتبسم، إنه مدير المدرسة: "أهلا بك أستاذنا كيف حالك"؟ "أنا الحمد لله بخير ولكن أنت يا

محمد كيف حالك الان"؟ "أنا بخير، تفضل يا سيدى ادخل". "دعك من هذا الآن فقد جئت لأقول لك إنك ستكون مقدم المؤتمر ومناقشا للقضي، فما ردك"؟ "هذا شرف لي وسأكون عند حسن ظن حضرتك إن شاء الله" "إن شاء الله، لقد ظننت أنك سترفض لما أنت فيه، ولكن أنا متفائل لردك، هناك أمر آخر، اسمع يا محمد، أنا وإن كنت رشحتك لهذا الأمر لكن عليك أن تعرف انه سيحضر المؤتمر شخصيات مهمة ولها شأن من القرية ومن المدينة أيضا، فعليك أن تعرض الموضوع دون تجريح أو ذكر أشياء لا تناسب وغير مقبولة، اتفقنا"؟ "إن شاء الله سيادة المدير سأبذل قصارى جهدي حتى أبتعد عما قلت، ولكن ادخل الآن سيادة المدير إلى الداخل". "لا يا ولدي ولكن لنا لقاء إن شاء الله عند صلاة المغرب بعد درس الشيخ عيسى". "إن شاء الله".

ذهب المدير إلى بيته، ودخل "محمد" وهو يفكر كيف لموضوع شائكٍ كهذا يعرضه دون تجريح؟ إنه ملئ بالأمور التي يجب أن نتناولها بحسم حتى نجد لها حلا وإن أغضبت أحدهم، ولكن لابد للحق أن يظهر، فماذا يفعل "محمد" حيال هذا الأمر؟ كيف سيتصرف؟ وكان من عادته إذا واجهه أمرا وحيرة أن يذهب إلى الشيخ "عيسى" ويستفتيه في الأمر ليسمع منه رأيه، فعزم على الحديث مع شيخه الذي حفَّظه القرآن في الصغر.

اقتربت صلاة المغرب فقام "محمد" ليذهب مع والده إلى الصلاة: "هيا بنا يا أبي". "هيا يا محمد". توجها إلى المسجد وبعد الصلاة جلس الجميع كي يسمعوا الشيخ "عيسى" ماذا سيقول؟ بعد أن حمد الشيخ ربه واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إخواني، موضوعنا اليوم مهم وله أبعاد كثيرة وله أهمية كبرى، ألا وهو صلاة الاستخاره....." أكمل الشيخ حديثه والجميع يسمع وكان الجميع تركيزهم لا يصل إلى نسبة تركيز "محمد" فكان الموضوع بالنسبة له مهما جدا جدا فقد جاء ليستفتي الشيخ ولكن الشيخ بدون أن يدري أرشده ليستفتي الله في أمره! أكمل الشيخ حديثه ومحمد يستمع له وبعد انتهاء الدرس قام الجميع ليسلموا على الشيخ عندها عزم "محمد" على صلاة الاستخارة وأراد أن يصليها في البيت ولكن قبل أن يترك المسجد عليه أولا أن يجلس مع المدير والشيخ عيسى، وكانت جلسة معتادة كان يجلسها قبل موت خالد ولكنه انقطع عنها الفترة السابقة: "أهلا بك يا محمد كيف حالك"؟ "بخير يا شيخنا وأنت كيف حالك"؟ "أنا بخير يا ولدي في زحام من النعم". "وأنت حضرة المدير كيف حالك؟ وكيف حال الطلبة عندك"؟ "الحمد لله بخير والطلبة بخير وفى تفوق دائم وينتظرونك فلا تتأخر عليهم". "لا تقلق سيادة المدير لن أتأخر إن شاء الله". "و الآن يا شيخ استمع لهذا جيدا، إن شاء الله سيقام مؤتمر في المدرسة وهناك شخصيات مهمة ستحضره ونريدك أن تقرأ بعض ما تيسر من القرآن في البداية إن شاء الله، ومحمد سيكون بجانبك مقدما للمؤتمر فما ردك"؟ "وكيف لي أن أرفض هذا يا حضرة المدير؟

نحن نريد لقريتنا التقدم دائما ونريد لبلدنا الصواب والخير وتأكد أني مستعد لعمل أي شيء لأجل قريتي". "لقد كنت معجبا بالأمر لعنوان المؤتمر ولكن الآن أعجبت أكثر لأن من سيجلس بجانبي هو شيخي الذي أعتز به في كل مكان، حفظك الله ورعاك". "وإياك يا ولدي ونفع بك البلاد والعباد إن شاء الله". "آمين، استأذنكم الآن، لدي أمر ضروري". "تفضل يا بني".

توجه "محمد" إلى بيته وترك الجلسة التي كان يحبها ولكنه الآن لديه أمر مهم عليه أن يتمه حيث إن الوقت قليل، هذا الأمر هو صلاة الاستخارة التي سمعها من شيخه، فرش مصلاه وشرع في الصلاة وبدا يصلي ركعتي الاستخارة بعد التسليم ظل يذكر الله ويشكره على النعم التي هي عنده وبعدها قام من مصلاه وخرج من غرفته ليجلس مع أمه التي اشتاق لجلستها وبينما هو خارج من غرفته وجدها تجهز العشاء فتركها حتى تنتهي وجلس يكمل ذكر الله على الأريكه ثم ما لبث أن جاء أبوه ووجه منشرح لرؤيته "محمد" ثانية يجلس معهم ويأكل وسطهم، جلس بجانبه: "محمد هل تحدثت إلى أمك بخصوص موضوع جمال"؟ "لا يا أبي، أنا لا أريد أن أزعجها ولكن سأقول لها ويفعل الله ما يريد". "انتظر يا بني بعد العشاء وأخبرها وقبل أن تخبرها ساكون أنا بالخارج حتى لا تظن أنى من قلت لك ذلك، فأنا أخاف على حزنها ولا أريدها أن تنزعج اتفقنا"؟ "إن شاء الله". أحضرت الأم الطعام وعيناها تتابع همسات "محمد" وأبيه وقلبها يحدثها بان أمرا ما يحدث، تناولوا الطعام معا ولم

يتحدث أحدهم بكلمة واكتفوا بإشارات ترسلها العيون بعضها يفهم والبعض الآخر لا، وبعد الطعام قام "متولي": "سأخرج واشتري شيئا وسآتي في الحال". "في رعاية الله يا أبا محمد". وبينما الأم ترفع الأطباق من المائدة كان "محمد" منشغلا في كيفية التمهيد لهذا الأمر، كيف سيقول لها أمرًا كهذا؟

انتهت الأم من عملها حينها رأى "محمد" انها فرصة جيدة فناداها: "أمى أما اشتقتِ للجلوس معى"؟ "وهل هناك إنسان يكره نفسه؟ أنت روحي وعقلي وكل ما لي في الدنيا يا ولدي، سأصنع كوبي شاي لي ولك وآتي إليك". جهزت الشاي ثم جاءت وجلست بجانبه. قال "محمد" في صوت متردد خائف من رد الفعل: "أمي، أريد أن أسألك سؤالا، لو أن خالد رحمة الله عليه خرج من قبره وطلب منك طلبا غريبا وصعبا هل ستنفذينه له أم لا"؟ "لمَ تقول هذا يا محمد؟ ذكرتني بابني رحمة الله عليه، والله لو طلب عيْنَيَّ لأعطيته إياهما، وهل هناك مثل خالد"؟ "أمي، خالد جاءني في رؤيا وطلب مني أن أقف بجانب أبيه وكأنها وصية، واستفتيت شيخ الجامع وقال لي افعل ما وُصِّيَت به، وأنا لا أريدك أن تنزعجي من تصرفي لأني وَكَّلْتُ محاميا لكي يتابع الأمر، وأبي سيطلب بعد يومين للإدلاء بشهادته، وكل ما أردته أن تكوني على علم حتى لا يكون الأمر مفاجئا وتحزني". "كل هذا حدث ويحدث يا محمد وأنت وأبوك تخفيانه عني؟ كيف لك أن تساعد من قتل أخاك وحاول قتل أبيك؟ أنا لا أوافقك الرأى يا ولدي"!

سكت "محمد" وكأنه يفكر فى سبب جديد ليقنعها به ثم قال: "أمي، لقد شرحت لك الأسباب وخالد لم يكن أخا وحسب، بل كان كل شيء بالنسبة لي ووصيته سأنفذها ولو كلفني الأمر حياتي، ولكن أريد منك الرضا ولا تغضبي مني، اتفقنا"؟ سكتت أمه تفكر في أمر يتخلله خوف ورعب ممن هو آت. "اتفقنا يا بني، وأنا وان كنت سأسامحك أنت فلن أسامح أباك"! "أبي لم يكن يعرف شيئا عن كل هذه الأمور، وأنا من قام بكل شيء والأمر انتهى، أرجوكِ، طلبٌ أخير، لا تفتحي الأمر مع أبي لأنه منزعج منه مثلك ودعي الامور لله هو من سيرتبها". تبسمت الأم في إشارة عن الموافقة بما يقول.

دخل "متولي" داره ومحمد جالس وعيناه ترسل برسالة لأبيه بأنها وافقت، حينها تبسم "متولي" وجلس بجانبهم واكملوا جلستهم كما كانت ولم يتحدث هو أو أمه عن شيء آخر حتى انتهت الجلسة. قام "محمد" إلى مخدعه لينام ولكن قبل أن يسرقه النوم تذكر أمرا قد تناساه مع الأمور المتتاليه التي حدثت معه، إنه أمر "ياسمين" التي كان يريد أن يتزوجها، بهذا اوصاه "خالد" حبيب قلبه! فكلما تذكر "محمد" ياسمين تذكر خالد وقلبه ما بين الفرح بأمرها وما بين الحزن عليه.

الفصل الرابع

جلسة المحكمة ومؤتمر المدرسة

جاء اليوم الذي حدد لجلسة "جمال" واستعد "محمد" وأبوه للذهاب إلى المحكمه وقبل أن يخرجا ظل يوصي أباه بما سيقول وما عليه فعله، وكان لجليلة حظها من الوصايا لا تكلم ذلك الرجل لا تنظر إليه، و"متولي" يسمع منها ومنه حتى ملَّ! وبعد أن وصلا وهناك في المحكمة جلس "محمد" و"متولي" بجانب القفص حيث يقف "جمال" ويبدو عليه أثر الحزن الذي هد أركانه وأثر فيه كثيرا، وبينما الجمع غفير والكل ينتظر القاضي وحكمه كان "جمال" يحاول أن يتحدث مع أخيه لكن "متولي" آثر ألا يحدثه ورفض حتى النظر إليه، وبينما هما على هذه الحالة دخل القاضي والمستشاران معه وبدأت الجلسة، وحيث إن "متولي" هو الشاهد الوحيد في القضية كانت شهادته فارقة في الأمر. بصوت قوي نادى الحاجب اسم الشاهد الأول: "متولي إبراهيم"، قام "متولي" من مكانه ووقف بين يدي القاضي. "متولي قل والله العظيم أقول الحق". "والله العظيم أقول الحق". وبدأ القاضي يسأل "متولي" وهو يجيب والقلق لا يفارق وجهه فهذه المرة الأولى في حياته التي يدخل فيها محكمة، وآخر سؤال سأله القاضي لمتولي: "لو تمكن جمال منك يا متولي هل كان سيقتلك بدلا من أن يقتل ابنه خطأ"؟ "الله أعلم! لكن

ما أعلمه أن الأخوة التي بيننا كانت ستقف حاجزا أمامه ولم يكن ليفعل ذلك الأمر أبدا، إنه أخى وأنا أفهمه رغم عصبيته وتهوره، لكن لو رآني جرحت لحزن على جرحي فكيف يقتلني"؟ "الحكم بعد المداولة". خرج القاضي من الجلسة مع مستشاريه ولحظات ونادى الحاجب:"محكمة". ودخل عندها القاضي ومن معه للنطق بالحكم.

"جمال" في القفص والجميع ينتظر ولكن القاضي قد سبق حكمه: "بسم الله الرحمن الرحيم بعد الاطلاع على الأدلة ومواد القانون حكمت المحكمة حضوريا وباتفاق الآراء بالسجن لمدة ثلاث سنوات على المتهم. رفعت الجلسة". الحكم كان متوقعا لكن "محمد" صُدِم فقد كان يريد له البراءة ليحقق الراحة لأخيه في قبره، لكن هذا قدر الله. قام الجميع وهموا بالانصراف لكن "محمد" آثر أن يحدث عمه فاقترب من قفصه "لقد كرهت أمورا كثيرة وأناسا كثرا لكن للمرة الأولى في حياتي أكره إنسانا بهذه الدرجة! ولولا خالد لما جئت إلى هنا ولما وكلت محاميا لك. ربنا ينتقم منك بكل ما ارتكبته في حقنا". "انتظر يا محمد أعلم أني أجرمت في حق الجميع لكن خالد كان شيئا خارجا عن سيطرتي وضرب عن غير قصدي". "قُضى الامر يا عمى ومن اليوم انسَ أمرنا واقض سجنك ثم اذهب بعيدا عنا". تركه محمد وهو في شدة غضبة فصورة "خالد" وذكرياتهما معا لا تروح من باله أبدا.

رجع "محمد" وأبوه والمحامي إلى القرية وقبل ان يتوجه إلى بيته شكر الأستاذ درويش: "شكرا لك أستاذنا". "العفو يا محمد هذا واجبي". دفع له "محمد" بقية الأتعاب وتوجه كلٌّ إلى بيته. دخل "متولي" وأعقبه "محمد"، و"جليلة" جالسة تنظر فجلس "محمد" بجانبها يمازحها: "مالك يا جليلة تجلسين هكذا أخرب العيش أم أن أمرا آخر حدث"؟ "أنت تعلم سبب جلوسي وقلقي، ماذا فعلتما"؟ "لقد حكم على عمي بثلاثة أعوام" "محمد هذا ليس عمك! الذي يقتل أخاك ليس عمك! الذي يحاول قتل أبيك ليس عمك". "جليلة كفى". أشار إليها "متولي" بيده أن تكف عن الحديث في هذا الأمر. "أترككما أنا، عندي أمور لم تنتهِ بعد ولكن لا أريد أن أسمع جدلًا لا فائدة منه فالأمر انتهى يا أمي". توجه إلى غرفته ليجهز لمؤتمر الغد وقام "متولي" ليباشر أرضه بينما قامت "جليلة" لتنهي ما تبقى معها من عمل.

جاء الصباح ورتب "محمد" أوراقه وتوجه إلى المدرسة في أول يوم له بعد وفاة "خالد"، ولكنه لم يذهب وحده كما تعود بل اصطحب معه أباه ليحضر المؤتمر، فقد كان مسموحا لأطياف كثر بأن تحضر، وصلا الاثنان عند باب المدرسة توجها إلى قاعة المؤتمرات ليبدأ مؤتمرهو الأول من نوعه في القرية بحضور شخصيات مهمة من القرية ومن المدينة كان المؤتمر ملئ بالحاضرين وقبل أن يبدأ المؤتمر وتتقدم الشخصيات توجه المدير إلى "محمد" ليملي عليه بعض الأمور التي يريده ألا يخرج عنها

"محمد لا تنسى ما قلته لك بخصوص...." ولم يكمل المدير حديثه فقاطعه "محمد": "حضرة المدير إن كنت لا تراني مناسبا فأوكل الأمر لغيري لكن مادمت قد أوكلته إلي فلا تتحدث بأمور كهذه"! سكت المدير وبدأ قلبه يدق خوفا من كلام "محمد" فهو يعرفه جيدا ولا يريده أن يقول أمرا يتسبب في إحراجه أمام الحاضرين.

بدأ المؤتمر وقد جاء "عليّ" ومعه أخته "ياسمين" لكنه لم يلتقِ بمحمد بعد فقد كان "محمد" منشغلا في بعض التحضيرات. جلس الجميع وبدأ الصمت يخيم فوق المكان قبل أن يخرج عليهم "محمد" والشيخ "عيسى" ويعتليا المنصة وبعد أن جلسا بدأ "محمد" بمقدمة بسيطة ثم قدم الشيخ "عيسى" ليقرأ عليهم ما تيسر من آيات القرآن الكريم وكان الشيخ "عيسى" موفقا فقد كانت قراءته عذبة، وبعدما انتهت التلاوة بدأ "محمد" كلامه يشرح الجزئيات التي جمعها عن الموضوع محللا ومنتقدا وعرض أفكاره، لقد كانت البداية مبشرة بالنسبة للمدير الذي كان خائفا حتى قال "محمد": "الجميع هنا يعلم بدون مجاملات أن المدينه منذ قديم الأزل تحظى بكل التيسيرات والإمكانيات وفرص العمل لشبابها أما القرى فلا داعي للاهتمام بها لأن أهلها أهل فلاحة وبساطة منذ قديم الأزل ولا يهتمون للتطور، ولكن أريد من المسئولين أن يفهموا أن الغالبية العظمى من شباب القرى كرهوا العيش في قراهم والفضل يرجع لإهمالكم القرى! فى القرية إذا أصيب أحدنا أو نزل به مرض يموت قبل أن يصل لمستشفياتكم فقبل شهر من اليوم ضرب ابن عمى بعصا فوق رأسه

استمر نزيفه حتى وصل إلى مشفى المدينة ومات هناك، مات لأنه لم يسعف في الوقت الذي أصيب فيه، مات لأننا قضينا نصف ساعة حتى نصل إلى المدينة. أقول لمن يسمعنا وكلمته مسموعة: اتقوا الله فينا فنحن لا نستحق كل هذا"!

عندها ضجت القاعة بالتصفيق لسماعهم هذه الكلمات الجريئة منه وكان أكثرهم إعجابا بكلامه "ياسمين" التي رأت فيه مثالا يحتذى وزادت إعجابا به، ظلت تستمع بابتسامة وهو يتكلم، ختم "محمد" كلمته قائلا: "والآن أترك الكلمة للسيد مدير المدرسة ليلقى كلمته". ثم ترك المنصة ليجلس بعد أن حياه الحاضرون وظل المدير يخطب فيهم وتوالت الأحاديث من مسئولين وغيرهم وكأن المؤتمر مجرد شكليات حتى يقال تقام المؤتمرات وهناك اهتمام بالقرية وبأهلها! انتهى مؤتمرهم الشكلي كغيره دون تقدم، عندها أدرك "محمد" لا فائدة من التغير في قوم لا يريدون التغير وأدرك أن التغير لا يأتي من الغرباء، لابد لأهل القرية أن يتحركوا! لحظات من انتهاء المؤتمر و جاءت إليه "ياسمين" لتسلم عليه وتحييه على كلماته: "احسنت أستاذ محمد كنت موفقا في حديثك". "ياسمين! أنت هنا؟ أحسن الله إليك، ولكن أين عليّ"؟ جاء إليه "عليّ" من الخلف ووضع يده على كتفه قائلا له: "أنا هنا أيها العبقرى والخطيب المفوه أحسنت يا صديقي". "وما فائدة هذا كله دون الوصول لحل"؟ "إن شاء الله سيتغير الأمر قريبا وما أدراك بأنه لا يوجد تغيير؟ إن القرية من الأماكن التي لا يعرف مميزاتها إلا من حرم العيش فيها فلا

تجحد وسيأتي يوم تعلم أن المظاهر والأشياء التي تراها في المدينة ما هي إلا زخارف ومظاهر لا قيمة لها بالنسبة لما هو موجود في القرية والروح الدافئة".

الفصل الخامس

أيام ثلاث في القرية

نظر "محمد" إلى "عليّ" نظرة عدم اقتناع: "ربما ولكن دعك من هذا الآن هيا بنا سنقضي اليوم وغدا معا إن شاء الله". تبسم "عليّ" و"ياسمين". "يومان؟! أنت طماع يا محمد أما يكفيك ساعة أو ساعتان؟ نحن على عجلة من أمرنا اترك الأمر للقدر وسنزورك عند أقرب فرصة إن شاء الله". "قسما برب الكعبة لن ترحلا إلا بعد أن نقضي ما قلت، وان كان قسمي هين عليك فاذهب يا صديقي". "كيف هذا يا محمد؟ أنت متسرع دائما هكذا ولكن...". "انتهى الأمر يا عليّ هيا بنا هيا ولكن دقيقة أنادى أبي لنذهب معا". ذهب "محمد" لأبيه و"ياسمين" ظهر على وجهها الارتباك: "كيف هذا يا عليّ؟ كيف نظل عندهم يومين وعلاقتنا بهم سطحي؟ إنه إحراج كبير"! ياسمين كانت تقول هذه الكلمات ولكن بداخلها فرحة لانها ستبقى في القرية يومين وفى بيت من؟ بيت "محمد"! ستكون مناسبة جميلة! نظر إليها "عليّ" قائلا: "وماذا أفعل؟ أنا أعرفه، صعب إقناعه بالتراجع عن أى أمر اتخذه! ليس أمامنا إلا الموافقة"!

جاء "محمد" مع أبيه: "أبي، هذا عليّ صديقي أنت تعرفه، وهذه ياسمين أخته. ,"أهلا بكما يا ولداي". "أهلا ومرحبا بك ياعمي، عمي ابنك يريد منا أن نظل عندكم يومين فأرجوك اقنعه بأن يتراجع

عن قسمه ". "يا ولدي، إبني اخطأ في هذا"! عندها تبسم "عليّ" ظنا منه أن "متولي" سيعاتب ابنه على هذا الأمر ثم قال: "لقد أقسم بيومين وأنا اقول لكما ثلاثة أيام وانتهى الأمر! هيا بنا"! صَدِمَ "عليّ" بما سمع وتمنى لو لم يتكلم! توجه الجميع إلى البيت وفى الطريق كانت "ياسمين" في قمة سعادتها بما تراه.. ترع وبهائم وأرض خضراء وأشياء تدخل السرور كأنها جنة من جنات الله في الأرض، وبعد أن وصلوا استقبلتهم "جليلة" بحفاوة، جلس الجميع ثم نظر "متولي" لزوجته: "أم محمد، عليّ وياسمين ضيفانا فاكرميهما". "افرش لهما رموش عينيّ يا أبا محمد". "بارك الله فيك خالتي". قام "محمد" وأخذ "عليّ" إلى غرفته بينما تولت "جليلة" أمر "ياسمين" فأخذتها معها.

"محمد ماذا فعلت يا صديقي؟ فعلتك هذه أحرجتني وثلاثة أيام كثيرة يا أخي". "كف عن حديثك هذا، أنت أخي وبيتي بيتك فلا تجعل بيننا فرقا". "ولكن يا محمد...." قاطعه "محمد" قائلا: "اصمت يارجل وقم من مكانك حتى تغير ملابسك هذه، لدينا أشياء كثيرة تنتظرنا". ابتسم "عليّ" وقام ليغير ملابسه بينما أخذت "جليلة" "ياسمين" لتريها المنزل وأركانه وما حوله من الأراضى الزراعية: "سامحينا يا ياسمين إن كان بيتنا متواضعا". "كيف هذا يا خالتي؟ انه من أجمل الأماكن التي رأيتها في حياتي ويعلم الله أن نفسي ارتاحت منذ أن دخلت هنا". "أنت مختلفة عن بقية بنات المدينة حقا فمثلك لا يوجد الآن يا ياسمين، من اليوم فصاعدا أنا أمك

فلا تنادينى بغيرها اتفقنا"؟ ارتمت "ياسمين" في حضنها: "اتفقنا يا أمي"! لقد جاءت "ياسمين" لتروح عن نفسها في مكان كهذا ولاتدري أنها ستجد امرأة بقلب أمها كجليلة وإنسانا كمحمد لتقضي بقيه حياتها معهما، انقضى اليوم بين الاحاديث المتقطعة والكلمات المفرحة والحزينة حتى جاء صباح اليوم التالي وخرج "محمد" و"عليّ" إلى عملهما بينما كانت "ياسمين" تقوم بأعمال البيت وتنظفته على الرغم من أن "جليلة" منعتها لكنها أصرت: "أمي! كيف تتركين ضيفتنا تقوم بمثل هذه الأعمال"؟ نظرت "ياسمين إليه: "ومن قال لك إني ضيفة يا أستاذنا أنا واحدة من هذه الدار وهذه أمي"! تبسم "محمد" فرحا بما يراه ثم قال بصوت منخفض: "انظر يا عليّ.. ياسمين كأنها نشأت هنا.. يبدو أن القرية تطبع كل من يأتي إليها بطبعها"!

تبسم "عليّ" قائلا: "اعلم يا محمد أن هذا المكان فيه ما لا يوجد في غيره في القرية، أنت في مملكتك الخاصة بين أهلك لا يوجد فيها شخص إلا ولك به صلة قرابة قريبة أو بعيدة، في القرية تعيش بالقليل وإذا احتجت شيئا وجدت القريب والبعيد يقدمه إليك وإذا وقعت في مأزق وقفوا بجانبك، وكل مكان فيه المميزات والعيوب ولكن هناك مكان مميزاته أكثر كالقرية لكنك لا تريد أن تفهم ذلك ولكن قريبا ستفهم ذلك الأمر". التزم "محمد" الصمت وكأنه يفكر في كلمات "عليّ" لكنه ليس على قناعة مؤكدة: "سنرى يا عليّ، والآن أسرع إلى المدرسة اشتقت إلى التدريس والأولاد". "هيا يا

صديقي". "وصل الاثنان وكان اليوم يوما جميلا وكان "محمد" مستمتعا جدا لأنه منذ وقت وهو يفتقد هذا الجو الجميل والطلاب لم يتركوه من حبهم فيه كانوا في قمة سعادتهم ومن ضمنهم الطالبة "رويدة" التي جاءت إليه لتسلم عليه في الفناء: "كيف حالك أستاذ محمد"؟ "أهلا بالطالبة التي لا تكل من الأسئلة، كم أتمنى لك التفوق دائما، أنا بخير يا رويدة وأنت كيف حالك هل تذاكرين"؟ "نعم يا أستاذ فأنا تلميذتك ولن أخيب ظنك في أبدا". "أحسنت يا رويدة والآن اذهبي إلى فصلك حتى آتي إليكم". انصرفت "رويدة" وتوجه "محمد" إلى غرفة المعلمين ليسلم على بقية الزملاء فكلهم كانوا مسرورين لرؤيته وكان يوما ممتعا للجميع وأولهم "محمد".

وبعد انقضاء اليوم الدراسى جاء "عليّ" إلى "محمد" لينصرفا معا إلى البيت وجميع المدرسين في عجب، في الصباح يأتي معه وآخر النهار يعود معه! وصل الاثنان إلى البيت ليجدا أن "ياسمين" قد جهزت لهما أطيب الطعام وهي في انتظارهما: "انظر يا عليّ، ياسمين يبدو أنها تجيد الطهي". "أما تعلم يا محمد أنها قرأت كتبا كثيرة عن الأنواع المختلفة من الطعام فهي طاهية ممتازة والآن هيا بنا لنرى طاهية المدينة وهى تجهز الطعام القروي كيف سيبدو"؟ تبسم الجميع وتجمعوا أمام المائدة ليتناولوا الطعام وكان الطعام لذيذا جدا لدرجة أن "محمد" ظل آخرهم على المائدة يبدو أن الطعام وصاحبة الطعام أعجباه حقا ولكنه لم يقل شيئا احتراما لصديقه ومشاعره. انتهى من طعامه ورفعت "ياسمين" الطعام لتحضر لهما

الشاي. لقد أضاف "عليّ" و"ياسمين" للبيت طعما آخر، لقد تغير "محمد" وبدأ يعود من جديد، فهذه المرة الأولى التي يأكل فيها كثيرا منذ أن مات "خالد"، كل هذه الأفكار كانت في ذهن "متولي" وهو فرح بما وصل اليه ابنه، كانت اللحظات رائعة والكلمات أروع التي دارت بين الجميع في كل جلساتهم التي جمعتهم وبعد أن انتصف النهار قام "محمد" ليأخذ "عليّ إلى الحقل ليريه إياه فوافق على الفور ولكن كان هناك شخصأ خر يريد الذهاب معهم: "أمى هل تأذنين لي أن اذهب معهما لأرى الأرض وجمالها"؟ "ولكن يا ياسمين هذا الأمر ممنوع عندنا فليس من المرغوب فيه أن تخرج الفتيات عندنا". "أعلم ذلك يا أمي ولكن أنا سأخرج مع أخويّ وهو وقت بسيط أرجوكِ". "عليّ، محمد، أريد منكما أمرا خذا معكما ياسمين لترى الأرض ورجاءً لاترفضا، نظر "محمد" مستنكرا وأبدى اعتراضه على خروجها هو و"عليّ" لكن "متولي": "عليّ لأجلى يا ولدي خذها لتستنشق هواءنا". "سمعا وطاعة عمي تفضلي يا ياسمين ولكن البسي وسننتظرك".

خرج الثلاثة و"محمد" في قلبه شيء من الغيظ فهو لا يريد أن يراه أحد من أهل القرية ومعهما هذه الفتاة، فهو يعلم أن سوء الظن سيكون له حظه الأوفر وكلما مروا على قوم لم يُلْقِ "محمد" السلام عليهم حتى لا يروه، فقد كان يعتبره الجميع قدوة، وصلوا إلى الحقل وعاد "محمد" لطبيعته فهو الآن بعيد عن أعين الناس نظر "عليّ" حوله ثم قال: "محمد، إنها جنة ما شاء الله! يالك من رجل ذهب عقله

أتريد أن تترك كل هذا لأجل المدين؟ أتترك هذه الجنه لتعيش عندنا؟ هذا أمر ليس صائبا بالمرة". تبسمت "ياسمين" وهي تقول: "أما رأيته كيف يبدو وأنا أسير معكما؟ يبدو أن القرية أعرافها تأثيرها كبير عليه لا يستطيع الابتعاد عنها". "لا يا ياسمين لكن الأمر مختلف، أنا لا أؤمن بهذه الأعراف على الرغم أن بعضها مفيد للجميع لكن نحن تربينا على هذا الأمر بعيدا عن الأعراف وحتى لو كنت في المدينة لن يتغير الأمر فهذه مبادئ ورثناها منذ قديم الأزل ولن تتغير مهما طال بنا العمر". "ومن قال إنها سيئة بالعكس أنا من الناس التي أفضل العيش في القرية عن العيش في المدينة لقد رأيت هنا من البساطة وحب الناس لبعضهما ما لم أره في أي مكان آخر وإن كنت يا محمد تنظر إلى القرية بالنسبة لعيوبها أقول لك إن قريتك بحاجة إليك وتريد شبابا مثلك لتغييرها وإدخال بعض الأمور إليها ومحاولة إصلاحها وإن تخليت عن واجبك نحوها فأنت بذلك تخون المكان الذي تربيت فيه أنت بهذا تجحد الفضل الذي أسدته إليك القرية وتنكر معروفها عليك وأنا لا أراك هكذا أبدا يامحمد".

ظل "محمد" يستمع إلى "ياسمين" وكأنه بدأ يفكر في كلامها ويبدو عليه بعض علامات الرضا بكلامها ولكن "عليّ" لم تعجبه لهجة ياسمين مع "محمد"": "ياسمين! كفاك كلاما لا فائدة منه وفكري في كلماتك قبل أن تنطقي بها". "مالك يا عليّ هي تكلمني أنا وأنا مقتنع بكلامها"! عندها تبسم "عليّ" وقال: "لقد قلت هذا لياسمين لأعرف مدى اقتناعك بكلامها فأنا من أراد ذلك". عندها

نظر "محمد" إليهما وهو يبتسم قائلا: "ياسمين أنت قلت إن أهل القرية يتميزون بالبساطة وأنا أقول لك إن أهل المدينة يتميزون بالدهاء والمكر". عندها ضحك الثلاثة وكان يومهم سعيدا وظلوا في مكانهم حتى المغيب وكلما هموا بالانصراف أرادت "ياسمين" البقاء لكن بعد أن تاخر الوقت ودخل الليل انصرف الثلاثة عائدين إلى البيت

وفي المساء وبعد أن انتهت جلسات السمر التي اعتاد أن يجلسها "محمد" مع أصحابه وشاركهم هذه المرة "عليّ" شعر خلالها بدفء غريب لم يشعر به من قبل، بعدها توجه الاثنان لينامًا معا و"ياسمين" و"جليلة" كانتا معا في غرفتهما و"متولي" ينام على أريكة في غرفة الضيوف، وقبل أن ينام "محمد" أراد أن يتحدث مع "عليّ": "أتدرى أن كلمات ياسمين أثرت في على الرغم أنها أثارت بداخلي صراعا كنت أظن أنى حسمته وقضية قد حكم فيها لكن الأمر مختلف فالأمور التي أشارت إليها ياسمين لم أفكر فيها أبدا وبدلا من أن أهرب من القرية وهمومها ومشاكلها أصلحها أو أحاول إصلاحها لعل الأمر يصير أفضل أو يتغير". "لقد قلت لك ذلك من قبل لكن ياسمين عندها ميزة أنها تستطيع الإقناع بالأدلة وتتناول أمورا غابت عن كثيرين، هذه الفتاة لو تخصصت في المحاماة لكان لها شأن عظيم"! "صدقت يا صديقي لكن مشيئة الله ولكن الآن دعنا نخلد إلى النوم معنا عمل في الصباح، طابت ليلتك". "وليلتك".

نامت الغرف مثلما نام أصحابها ليأتي اليوم الثالث يوم المغادرة فقد كان يوم صعب على الجميع.

فى الصباح قام الجميع كلٌّ لعمله، "متولي" لأرضه و"محمد" و"عليّ" للمدرسة و"ياسمين" تعين "جليلة" في عمل البيت. وفي طريقهما أراد "محمد" أن يفضي لصديقه بأمر خطر بباله ويعلم أنه لن يوافق عليه: "عليّ ما رأيك أن نكمل بقية الأسبوع معا إن شاء الله"؟ "محمد! بالله عليك لقد احترمت إرادتك ولم أَرُدّ قسمك لكن الآن يا أخي رجاء دعنا نذهب والمناسبات كثيرة وسنأتي إليك إن شاء الله مرة ثانية". "إن شاء الله يا صديقي كل ما أردت أن أقوله إنكما أنرتما البيت وغيرتما فيه إلى الأحسن وأردت أن تظلا معنا بعضا من الوقت". "لا تقلق، الأيام لن تنتهي وعندما تتزوج سآتي عندك وأظل أسبوعا"! "لو بقيت العمر كله عندي لكان أحب ما على قلبي". تبسم "عليّ" وأمسك بيد صديقه وتوجها إلى المدرسة ليبدأ الجميع يومهم وكل في مكانه لكن ساعاته كانت سريعة فانقضى سريعا وانتهى اليوم الدراسى وعاد "محمد" و"عليّ" البيت ليتناول الجميع الغداء ويعلن بعدها "عليّ" أن ساعة المغادرة قد حانت: "نستودعكم الله، لقد أصبح لنا من اليوم أهل نودهم ويودوننا ونتبادل الزيارات ونريدكم في بيتنا قريبا". "ان شاء الله يا ولدي، اعتن بنفسك وبأختك جيدا حفظكم الله من كل سوء". عندها احتضنت "ياسمين" "جليلة" وهى تبكي: "يعلم الله أني منذ أن ماتت أمي لم أرَ في حنانك وخوفك علي أدامك الله بخير". "لو أن لي بنتا لن أحبها

كحبي لك، رزقك الله من خيره يا بنتي". انتهت لحظات الوداع وسلم الجميع بأيديهم إلا "محمد" فقد سلم قلبه قبل يده على "ياسمين" وبعدها خرج الثلاثه ليركب الأخوان السيارة التي جاء بها "محمد" ركبت "ياسمين" وقبل أن يركب "عليّ" ودع "محمد" وسلما على بعضهما وركب السيارة ثم تحركت بهما متجهة إلى المدينة وكلما ابتعدت ازدادت دقات قلب "محمد" حتى ابتعدت. عندها دخل إلى غرفته مباشرة.

الفصل السادس

زواج قريب

أراد "محمد" أن يختلي بنفسه بعض الوقت ليحسم الأمر الذي يصارعه بداخله من جهة "ياسمين"، ويحسم قضية مستقبله كيف سيسير في القرية أم في المدينة؟ ألقى رأسه فوق وسادته وأطلق عنان فكره ولكنه طال واستغرق كثيرا كلما اقتنع برأيه أن المدينة أفضل ترددت كلمات "ياسمين" في أذنه وظل الأمر يزداد سوءا ولا يحسم، وبينما هو على حاله دخلت عليه أمه: "محمد، أريد أن أتحدث معك حول أمر معين". "تفضلي يا أمي". "محمد أنت كبرت الآن وأريدك ان تتزوج، ولكن ليس من القرية كما قلت لك في السابق بل من المدينه". تبسم "محمد" وهو متعجب من قولها "وما الذي حدث كي تغيرى رأيك يا جليلة"؟ "الذي حدث أنى رأيت ياسمين. أنت من قبل قلت لي عنها ووافقتك دون أن أراها لكن كنت مترددة، أما الآن فأنا موافقة، ولا أريد غيرها زوجة لك وهي فتاة محترمة وعلى خلق وأريدك أن تخطبها ما رأيك"؟ "وأنا أريد هذا يا أمي وكنت سأقول لك هذا الأمر في الوقت المناسب وقريبا سأتكلم مع عليّ وسآخذك وآخذ أبي ونذهب قريبا إن شاء الله". "محمد، أنا لا أريد أن أسمع قريبا ثانية أمامك غدا أو بعد غد أيهما تختار".

"ولكن لمَ العجلة؟ الصبر جميل". "أرجوك يا ولدي لا ترفض الأمر". " لا تقلقي سأتفق معه غدا وسنذهب بعد غد إن شاء الله".

خرجت "جليلة" و"محمد" على حاله بل زاد تفكيره، هل ما سيقدم عليه صواب أم لا؟ فيه خير أم أن الامر لم يكتمل بعد؟ انقضى يومه في التفكير وفى مستقبله مجهول الملامح. وجاء الصباح ليتوجه "محمد" إلى المدرسة وبينما هو في طريقه ظل يفكر في الكلمات التي سيقولها لصديقه وما هي ردة فعله عندما يسمعها؟ كان طريق "محمد" مزدحما بالأفكار والهموم التي لا تنتهى أبدا وأخيرا وصل إلى المدرسة ولم يبحث عن "عليّ" كعادته وكأنه يريد أن يؤخر المواجهة، فتوجه إلى غرفة المدرسين ليجد "عليّ" أمامه وكأن القدر رتب له فالذي يفر منه يجده أمامه. "محمد، أخبارك يا صديقى؟ كيف حالك"؟ "أنا بخير الحمد لله وانت"؟ "أنا بخير ياصديقى". "عليّ، كنت أريد أن أحدثك بموضوع مهم". "ليس الآن يا محمد، لدى حصة وبعدها سآتي إليك". تأخرت المواجهة ثانية، انتظر "محمد" عليًّا حتى ينتهي من حصته وأول مرة يعلم أن الانتظار شيئا من أسوأ الأمور. جاء اليه "عليّ" مبتسما كعادته ولكن "محمد" كان قلقا وشرود ذهنه ألهاه عن صديقه فلم يشعر به حتى وصل إلى مقعده: "محمد ما هو موضوعك يا صديقى "؟ "أريد أن أحدثك بخصوص". "بخصوص ماذا؟ يبدو عليك التوتر.. دعنا أولا نخرج من هنا إلى الفناء لنتحدث خارجا". "هيا بنا يا صديقي". خرج الاثنان إلى الفناء ومازال "محمد" مترددا. "تحدث يا صديقي

فأنا أسمعك". "انت تعلم يا عليّ أن الذي بيننا أخوة ومحبة لا تنتهي"."أنا أعلم ولا أريدها أن تنتهي ولا يوجد شيء يستطيع أن يزعزع هذه العلاقة إن شاء الله". "إذن سأتحدث معك بموضوع وإذا لم يعجبك ولم يكن محل ترحاب منك فخذه ببساطة وارفضه اتفقنا"؟ "اتفقنا يا أخي تحدث إذن". "أريد أن آتي إليك أنا وأمي وأبي لنخطب ياسمين، فما ردك"؟ قال هذه الكلمات ووجهه أصفر اصفرار الموت وشعر أنه قال شيئا أخجله!

نظر "عليّ" إلى "محمد" وهو متعجب من التوتر الذي يعتليه وهل هذا الطلب يتطلب كل هذا التوتر: "أما أنا فيشرفني هذا الأمر ولكن الأمر يعود لياسمين حسب الشرع ونتشرف بالزيارة في أي وقت يا أخي لكن الأمر الذي لا أفهمه لمَ كل هذا التوتر"؟ "لقد قلت لك من قبل يا أخي أنا وإن كنت تعلمت خارج القرية وخالطت أناسا كثر إلا أنني لا أستطيع أن أغير في أمور ورثتها وتربيت عليها فلا عليك"؟ "يبدو أنني لم أعرف أمورا كثيرة عن القرية وأهلها وكل ما أعلمه إلى الآن ما هو إلا قشور فهي كالصندوق المزخرف ولكن الذي بداخله لا يعرفه إلا أهله، المهم الآن متى ستأتي إلينا يا بطل"؟ "غدا إن شاء الله أم نغيرها ونجعلها في وقت آخر"؟ "لا بالعكس سأنتظرك غدا إن شاء الله وأنا لن آتى إلى المدرسة فلا تتاخر". "اتفقنا يا صديقي". كان الأمر مبشرا في بدايته ولكنه لم يكتمل بعد، فهناك ما هو أهم ألا وهو رأي "ياسمين"! انتهى اليوم الدراسى

وعاد "محمد" إلى أمه ليزف إليها الخبر، وعاد "عليّ" إلى أخته ليخبرها بطلب "محمد".

وصل "محمد" البيت وبعد أن دخل بحث عن أمه فإذا هي منشغلة ببعض الأمور: "أمي الغالية، أريد الحديث معك لبرهة من الوقت فلا تتاخري". "محمد سآتي إليك يا بني بعد أن انتهي من هذا العمل". "الآن يا جليلة الآن دعكِ من كل هذا". تركت "جليلة" عملها وهى تبتسم فقد اشتاقت لرؤية "محمد" في هذه الحالة، جلسا على الأريكة تبسم "محمد" قبل بدء حديثه قائلا: "أمي، لقد حددت موعد ذهابنا إلى عليّ وهو موافق لكن لا نعلم رد ياسمين بعد، أتمنى أن توافق يا أمي". "لا تقلق يا محمد ان شاء الله غدا سنسمع ردا يطمئنك ولن يخذلك الله أبدا ولكن المهم أنت من ستخبر أباك بهذا الأمر وقل له عن الموعد". "إن شاء الله يا أمي، ولكن أين هو الآن"؟ "في الحقل يا ولدي انتظره حتى يعود وقل له". "أنا لن انتظره فهو يعلم بالأمر منذ وقت بعيد وموافق وسيذهب معنا غدا إن شاء الله والآن أريد أن أنام وسأخبر أبي غدا قبل أن نذهب لا تقلقي". بينما كان الحديث على هذا النمط بين "محمد" وأمه كان هناك حوار آخر بين "عليّ" وأخته لكن مختلف بعض الشيء فبعد أن وصل على البيت وبينما كان هو و"ياسمين" يتناولان الغداء: "ياسمين، ما رأيك في القرية والعيش فيها"؟ "بالنسبة لي هي أفضل من المدينة بكثير فيها كل ما أتمناه وأتمنى أن أعيش فيها يوما ما". تبسم "عليّ": "وإذا جاءتك فرصة للعيش فيها، أقصد تقدم إليك رجل منها ليخطبك

فماذا سيكون ردك"؟ "إذا كان إنسانا ذا خلق وأدب فلا اعتراض عليه وإلا فلا". "وإذا كان هذا الشخص محمد"؟ "محمد إنسان محترم ويستحق إنسانة أفضل مني فهو على خلق وأدب ومثله لا يرد أبدا". "إذن أنت موافقة يا أختي". "عليّ، ما بك يا أخي؟ موافقة على ماذا"؟ "لقد طلب محمد اليوم مني موعدا ليأتي إلينا هو وأهله ليخطبك لنفسه فما ردك"؟ سكتت "ياسمين" لبرهة ثم قالت: "الرأي رأيك يا خي"؟ "أنا أعلم بموافقتك قبل أن أتحدث ولكن أردت أن أتأكد فقط". تبسم "عليّ" واحمر وجه "ياسمين" حياء ولم تنطق بكلمة بقية الجلسة لكن "عليّ" كان يفهما أكثر من نفسها.

جاء الصباح وكان يوما مختلفا بعض الشيء بالنسبة للجميع استعد "محمد" لأجمل مناسبة في حياته، إنه يوم يتمناه كل شاب وفتاة، خرج من غرفته وإذا بأمه تنتظره وحدها: "أمي أين أبي"؟ "نائم، أما قلت لك أخبره بالأمس"؟ "ولمَ لم تخبريه أنت يا أمي؟ المهم لا عليك دعيني أوقظه." دخل على أبيه ثم قال: "حاج متولي، يا رجل أتنام وهذا يوم مهم لا يأتي في العمر إلا مرة واحدة"؟ استيقظ "متولي": "ما بك يا محمد؟ أنا متعب لقد أمضيت الليل كله في الأرض لأسقيها فدعني أنام". "كيف تنام وابنك سيخطب اليوم"؟ "قام "متولي" من مكانه مفزوعا مما سمع "وكيف هذا يا ولدي"؟ "اليوم سنذهب إلى عليّ وباقي الأمر سنراه هناك، هيا يارجل"! "أنت دائما هكذا يا محمد تفعل ما تريد، وإذا قلت لك لن آتي معك ماذا ستقول"؟ "هذا ليس اختيارا، أنا ابنك ولن أتخلى عن وجودك

في هذه المناسبة". "إذن لا مفر، دعني أغير ملابسي ونادي على أمك لتساعدني". "أنا هنا يا متولي وسأسخن لك الماء". تجهز "متولي" والجميع وتوجهوا إلى المدينة لخطبة "ياسمين" وسط فرحة تخرج من وجه "محمد" تزين الدنيا وما فيها.

وبينما كان "محمد" وأهله في الطريق كانت "ياسمين" أمام المرآة منذ ساعات بينما كان "عليّ" ينتظر الضيوف لاستقبالهم وكان مسرورا لأنه لن يجد إنسانا أفضل من "محمد" لأخته والأهم أن "ياسمين" موافقة عليه. لم يمض وقت طويل حتى وصل الضيوف، رحب "عليّ" بهم بحفاوة: "أهلا بالكرام أبناء الكرام، كيف حالك يا عمي؟ وأنت يا أم محمد"؟ "نحن بخير كيف حالك أنت وياسمين"؟ "بخير يا عمي كيف حالك يا محمد"؟ "أحسن منك، اعتنِ أنت بنفسك". تبسم الجميع لمزاحهما ثم قال "متولي" "عليّ، أنت تعلم نحن هنا لماذا؟ وسبب مجيئنا اليوم هو لنعرف رأيك ورأى ياسمين في الزواج من ابننا". "أنتم في بيتكم يا عمي وليس بالضرورة أن يكون هناك سبب لمجيئكم، وبالنسبة للزواج فأنا موافق فلن أجد لأختى رجلا كمحمد حسب ونسب وأخلاق لا يُعْلَى عليها، لكن الأمر كله يرجع لصاحبة الشأن ياسمين". نادى على أخته: "ياسمين اقبلي". فجاءت على استحياء سلمت على الحاضرين ثم جلست بجانب أخيها: "ياسمين محمد جاء لخطبتك فما ردك"؟ "الرأي رأيك يا أخي". "لا بل هو رأيك فأنت من ستتزوجينه". "كما ترى يا أخي". "مبارك عليك يا محمد". تهلل

وجه "محمد" وابتهج الحاضرون. "فلنقرأ الفاتحة إذن يا أولادي". قُرِأتْ الفاتحة وتبادل الجميع التهاني والمباركات وكانت من أجمل الجلسات في حياة "محمد" و"ياسمين" فقد كانت بوابة للمستقبل وفرحة ما بعدها فرحة.

"والآن علينا أن نتكلم في التفاصيل وموعد الزفاف". "اسمعني يا عمي أنا كمحمد ابنك وما ستقوله يسير على الجميع ولكن أنا لا أريد من محمد شيئا و كل ما أستطيع فعله سأفعله وبالنسبة لموعد الزفاف دع العروسين يحددانه". "كلماتك جميلة يا ولدي ولكن دعني أنا أحدد الموعد إن شاء الله الخميس القادم فأنا اشتقت لرؤية الفرحة من جديد بيننا". "ولكن يا عمي الخميس قريب جدا، هلَّا أخرت الموعد حتى يستعد الجميع"؟ "كما قلت لك يا عليّ الخميس المقبل إن شاء الله، سمعتما يا محمد انت وياسمين"؟ تبسم "محمد" وأشار بالموافقة و"ياسمين" أيضا "سمعا وطاعة يا أبى". كان يوما لا ينسى أبدا بالنسبة للجميع فتحقق ما كان يريد "محمد" وكما تمنت "ياسمين" مناسبة لا تتكرر وفرحة لا يعلوها فرحة، الآن قد بدأت حياة "محمد" و"ياسمين" الحقيقية. وفي صباح اليوم التالي ليوم الخطبة كان صباحا مليئا بالتفائل والروح المشرقة حيث تجهز "محمد" ليذهب إلى مدرسته بينما كانت "جليلة" فرحة بما قد أتمه الله عليهم وعلى "محمد"، خرج "محمد" من غرفته ليجد أمه أمامه مبتسمة: "صباح الخير يا أجمل ما خلق ربي في هذا الكون". تبسمت أمه: "صباح الخير والجمال كله يا غالي، ولكن ادخر كلماتك

هذه ليوم عرسك ولزوجتك". تبسم "محمد" وأقبل على امه ليقبل يدها: "وهل هناك من هو أهم منك حتى يقال له مثل هذه الكلمات فأنت أمي وكل ما لي في الدنيا". "أكرمك الله يا بني ويسر أمرك ولا حرمك من الخير أبدا". "آمين يا أمي دعوة كهذه تعدل الدنيا وما عليها، والآن السلام عليكم حتى لا أتأخر". "وعليكم السلام يا حبيبي". توجه "محمد" إلى مدرسته وكان يوما متفتحا تخرج منه روائح العطر والفل والياسمين فقد وصل وقد اقترب الطابور الصباحي على الانتهاء وقبل أن ينتهى الطابور أمسك المدير مكبر الصوت "السلام عليكم يا أولادي يوم سعيد وموفقين إن شاء الله، أردت أن أزف اليكم خبرا سعيدا هو أن الأستاذ "محمد" بالأمس أكرمه الله وخطب فتاة من المدينة هى أخت الأستاذ عليّ وفقه الله وأتم أمره وعلى الجميع أن يبارك للأستاذ محمد وللأستاذ عليّ". صفق الجميع وأقبل المعلمون مباركين للزميلين فهذه المناسبة سعيدة أدخلت السرور على الجميع.

"مبارك أستاذ محمد". "مبارك يا أستاذنا". "مبااااارك يا رجل". تبسم "محمد" فرحا بمباركات زملائه "بارك الله فيكم يا إخوتى ولا حرمني الله منكم أبدا". "دعك من هذا كله نريد أن نشرب شيئا على شرف هذه المناسبة". الذي كان يتكلم كان الأستاذ ابراهيم عبده مدرس اللغة العربية وكان الأستاذ "محمد" يحبه جدا ويحب جلسته فقد كان من المدرسين المقربين إلى قلبه فرد عليه الأستاذ "محمد" مداعبا إياه: "انت تأمر أستاذ إبراهيم ولكنك من ستحاسب

على هذه المشروبات اتفقنا"؟ "اتفقنا أستاذنا فهذه مناسبة لا تتكرر، محمد الذي حلمنا طويلا أن نسمع هذا الخبر منه وعندما يأتي نبخل عليه بالمشروبات؟ إنه عيد يا أخى والمناسبة تخصنا جميعا". "بارك الله فيك يا أخي ويعلم الله أن كلماتك هذه عزيزة علي وعلى قلبي". "حبيبي يا محمد ولكن أين عليّ؟ هل هذا يوم يتغيب فيه"؟ "لا تقلق يا أستاذنا إنه بالتأكيد سيأتي إن لم يكن اليوم يكون غدا والذي لم تستطع أخذه مني خذه منه". تبسم الجميع لقد كانت جلسة جميله لم يجلسها "محمد" منذ زمن مع زملائه ومن يحبهم ويحبونه، وبعد قليل قام بعد أن استأذن من المدرسين ليتوجه إلى الحصة الأولى له منذ مقتل "خالد" لقد مر كثيرا على هذا الأمر و"محمد" لم يدخل فصلا ولم يلتقِ بطلبة بعد.

وصل الأستاذ "محمد" الفصل المحدد في الجدول ليعرف أنه فصل تلميذته النجيبة والتي كانت متميزة في دراستها دائما: "رويدة". دخل الفصل ليحيي تلاميذه ووجه مستبشرا: "صباح الخير يا أولادى". "صباح الخير يا أستاذ ". "جلوس". "جلس الأولاد وهم فرحون لرؤية أستاذهم من جديد فقد كانوا يحبونه حبا جما ولكن أكثرهم جرأة هي "رويدة" لم تنتظر ورفعت يدها قبل أن يتكلم "محمد" عن عنوان الدرس، تبسم عندها "محمد": "عم ستسألين يا رويدة؟ هل قلت شيئا بعد لتسألي"؟ "لا يا أستاذى ولكن أردت أن أقول مبارك للخطبة". "بارك الله فيك يا رويدة وأتمنى أن أبارك لك وللجميع قريبا بمناسبة النجاح هل اتفقنا"؟ "اتفقنا يا أستاذ

لكن هناك سؤال أخير". تبسم الأستاذ وهو ينظر إلى تلميذته "وهل أسئلتك تنتهى يا رويدة اسألي كما تشائين". "لماذا تحدثت هكذا في المؤتمر يا أستاذي وأظهرت أن المدينة أفضل من القرية في أشياء كثيرة على الرغم أن حضرتك قلت لنا في السابق إن القرية تحتوى على مميزات كثيرة فما الذي غير رأيك إذن"؟ نظر "محمد" إليها وهو يفكر في كلامها ويفكر في إجابة مقنعة لسؤالها فقد كان مفاجئا: "ياسمين.. أقصد رويدة! اسمعيني لقد كنت أتحدث معكم عن القرية التي نعرفها جميعا ولقد كنت محقا فهي تحتوي على مميزات كثيرة ولكن ما قلته في المؤتمر أردت أن أتحدث عن بعض العيوب التي لا أريدها وأردت أن أزيلها حتى لا نرى في قريتنا شيئا سيئا أبدا هل فهمتِ يا رويدة"؟ هزت "رويدة" رأسها بالموافقة التي يشك فيها ولكنه أراد أن يغلق النقاش وبدأ في الدرس الذي أراد شرحه ليتخلص من أسئلة "رويدة" التي لا تنتهي أبدا، انتهت الحصة وانتهى اليوم الدراسي أيضا ليتوجه "محمد" إلى بيته ويبدأ في تجهيز غرفته وأركان بيته لاستقبال الضيف الجديد.

وصل البيت وإذا بأبيه قد سبقه لهذا الأمر فقد جلب نجارا ليصنع لهما سريرا ومن سيدهن البيت بالألوان المناسبة للفرح ومن سيفرش البيت بالأفرشة والستائر وكل ما يلزم لهذا الأمر تهلل وجه "محمد" ليعلم عندها أن لو عاش دهره كله لن يجد أحنَّ عليه من أبيه وأمه فهما السند وهما كل شيء في الدنيا "أبى ما هذا كله بارك الله لي فيك وفى أمي". "وبارك الله لنا فيك يا محمد إن لم أفعل هذا لك فلمن

أفعل؟ أنت أهم شيء في حياتي". حينها قبل "محمد" يد أبيه وجبينه مبتسما من صنيعه، لقد كانا يومان جميلان، أجمل يومين لـ"محمد" فقد رأى كل أحبابه يتجمعون حوله ويبذلون قصارى جهدهم ليسعدوه ويتموا أمره لقد شعر الآن باهمية الأهل والأصدقاء، فعلا لا شيء يحلو بدونهم وعلم "محمد" حينها أنه لو استمع إلى عقله وسكن المدينة لكان حرم من كل هؤلاء ومن الفرحة التي قرأها في أعينهم جميعا.

الفصل السادس

زواج سعيد وحياة جديدة

جاء يوم الزفاف سريعا.. إنه اليوم الذي انتظره الجميع وكان "محمد" سعيدا جدا وبدأ يجهز بعض الأمور المهمة منها من سيعقد قرانه واستقر به الأمر على شيخه الشيخ "عيسى" وذهب إليه، كان وجود الشيخ في مناسبة كهذه شيئا لا بديل عنه، كان الشيخ أمام بيته: "شيخي، كيف حالك"؟ "بخير يا ولدي مبارك لك يامحمد رزقك الله البركة فيما أنت قادم عليه". "وحتى تأتي البركة إلينا لابد أن تكون أنت من يعقد قراني". "ولكنني تركت هذا الأمر منذ زمن يا بني". "ليس هذا من شأني سأنتظرك بعد العصر عند بيتنا فلتجهز نفسك لهذا و لنذهب معا". "لأجلك يا محمد ولأجل متولي سأفعلها". "بارك الله فيك يا شيخى". "وإياك يا ولدي". "أتركك الآن لأكمل بقيه الأمور التي لم تنتهِ بعد". "تفضل يا بني يسر الله أمرك ". "آمين وإياك السلام عليكم ورحمة الله". "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته".

ظل "محمد" يرتب أموره وما لبث أن جاء العصر سريعا، تجهز الجميع وركبوا السيارة، لقد أخذ "محمد" معه من يحبهم ويحبونه الشيخ "عيسى" إمامه وأمه على يمينه وأبوه على يساره وبعض من أصدقائه الذين يحبهم ويحبونه يجلسون في المقعد الخلفى

لقد كانت سيارة مليئة بالمحبة والسعادة التي تفوق الوصف، توجهت سيارة بكل من فيها ليتم أمرٌ انتظره "محمد" منذ زمن وقد جاء موعده، وبينما كان "محمد" ومن معه في الطريق إلى "ياسمين" كانت الأخيرة في سعادة لا توصف وفرحة ما بعدها فرحة لقد تجمعت فتيات الجيران وصديقاتها ليساعدنها على تزين نفسها ولبس أجمل الثياب للقاء فارس أحلامها ومن سيكون سببا في فرحة عمرها وسعادة بقية حياتها، وبينما كانت "ياسمين" تجهز نفسها طرق باب غرفتها دخل "عليّ" استأذن من الجالسات بأن يخرجن للحظات يريد أن يتكلم مع أخته: "ياسمين لقد ربيتك منذ أن مات أبوانا وكنت عندي أغلى من روحي وأعز من نفسي لقد كبرت يا ياسمين واليوم يا حبيبتى أسلمك لإنسان أثق به وبأخلاقه فأوصيك أن تكوني طائعة له في كل الأمور وافعلي ما بوسعك لرضاه هكذا أمرنا ديننا، اعتني بنفسك جيدا وراعي الله في أهل زوجك وعامليهم بالتي هي أحسن".
عندها نظرت "ياسمين" إلى أخيها وذرفت عيناها دموعا، فهذا "عليّ" الذي تعودت عليه: "بأمرك يا أخي، سمعا وطاعة يا خير أخ وخير سند لي في الدنيا". "لا دموع اليوم! اليوم يوم فرحك فلاتحزني ولا تنزلي فيه دموعا أبدا". احتضنها أخوها وقبل جبينها ثم تركها لتكمل ما بدأته ولتنتهي من تجهيز نفسها وزينتها حتى يأتي زوجها، دخلت بعض الفتيات اللاتي كن معها قبل أن يدخل "عليّ" ليساعدنها ومنهن "دعاء" تلك الفتاة التي كانت تحب "ياسمين" وكانت تحب "عليّ" أيضا لكنها اكتفت بحبها لنفسها، فـ"عليّ" لا يشعر بها ولا بحبها وأرادت أن تكون مع "ياسمين" هذا اليوم ولا

تتخلى عنها مهما حدث فهذا يوم تتمناه كل فتاه فحياتها تتغير بعده تماما تسكن بيتا غير بيت أبيها وتعيش مع رجل غريب عنها في بعض الأمور ولكنها تكون بداية لأشياء اجمل وحياة مختلفة تماما.

خرج "عليّ" ليجلس وينتظر الضيوف وعيناه أنزلت دموعا، إنها دموع الفراق، لقد أحس باقتراب فراق إنسان عزيز لديه تعود على رؤيته ليل نهار ولم يتصور ساعة من عمره بدونه، لكنها سنة الحياة التي عودتنا الفراق في كل شيء، كل هذا كان يجول في عقل "عليّ" وفجأة طرق باب البيت، يبدو أن الضيوف وصلوا، مسح دموعه وقام من مكانه ليفتح لهم الباب، سلم على الجميع وادخلهم ليجلسوا، قام "محمد" ليجلس بجانب صديقه يمازحه لكن "عليّ" كان يريد أن يتكلم بجدية: "محمد أنت تعلم كم أحبك فأقسم عليك بالله أن تعتني بياسمين". "لا تقلق يا عليّ فهي في عيني وقلبي ولا تخف عليها فهي ستدخل بيتها كما كانت في بيتها ولكن دعنا الآن ننهي عقد القران" قالها "محمد" وهو يبتسم مداعبا "عليّ"، قام الشيخ "عيسى" ليجلس بجانب "عليّ" وقام "محمد" ليجلس أبوه فهو وكيله، بدأ الشيخ يقول ويردد خلفه "عليّ" ثم بعده "متولي" وكل كلمة تخرج من الاثنين كانت تزيد المكان فرحا وتملأ القلوب سعادة، إنها كلمات لطالما تمنى أن يسمعها "محمد" في مكان كهذا ومع زوجة كهذه.

انتهى عقد القران وبدأ التكبير وتبادل الحاضرون التهاني، قام "محمد" واحتضن أباه وقبل يده ثم احتضن صديقه "عليّ" وعانقه وسلم على شيخه شاكرا فضله ثم سلم على الحاضرين وسط فرح وجو من السعادة بينما كانت "ياسمين" في الداخل وأمه معها وبعض النسوة من الجيران وعلت الزغاريد والتصفيق بينهن وكادت "ياسمين" تطير من الفرح، لقد كانت لحظات جميلة لحظات سيتذكرها الجميع أولهم "محمد" و"ياسمين" لحظات وقام "محمد" ليستئذن عليا حتى يأخذ زوجته وتعود معه إلى القرية فقام "عليّ" ليجلب لمحمد عروسه ويزفها إليه خرج بها والنسوة خلفها وأصوات الزغاريد والكلمات الجميلة لا تنقطع، أخذ "محمد" يد "ياسمين" من "عليّ" وسارت معه إلى السيارة والابتسامة تزين وجهه ووجهها ووجوه الجميع، ركب أصدقاؤه وأمه وأبوه وقبل ان يركب "محمد" بجانب زوجته في المقعد الأمامي ودع صديقه وطمأنه: "عليّ، لا تقلق فياسمين من اليوم معي وهي مسؤولة مني". "أعلم ذلك يا أخي وأنا مطمئن عليها معك بارك الله لكما وبارك عليكما". تعانق الاثنان ثم ركب "محمد" السيارة وأشار هو و"ياسمين" لـ"عليّ". تحركت سيارة السعادة وسفينة المحبة عائدة إلى القرية وصل الجميع ودخل العريس مع عروسه، كانت "ياسمين" في حرج شديد فهذا موقف جديد عليها وإنسان لا تعرف عنه إلا القليل فحاول "محمد" أن يطمئنها ويتحدث معها قليلا فدنا منها: "ياسمين.. أعلم أن الأمر صعب في البداية ولكن اعلمي أنك ستكونين عندي في منزلة رفيعة ولن أخذلك أبدا ومكانك في القلب ما بقيت وسأكون سندك في كل

وقت، ياسمين.. أريد أن أُعلمك أمرا هو إنني منذ فترة ليست بالقليلة وأنا أريدك زوجة لي ولكن كنت أنتظر الوقت المناسب فأريدك ان تنتظري الوقت المناسب لأحقق لك ما تتمنينه ولنسير معا الآن على ما نحن عليه، هل فهمتيني يا زوجتي الغالية"؟ "فهمتك يا زوجي واعلم أني سأظل لك طائعة ما حييت وسأعيش معك على ما أنت عليه طوال العمر ولن أخذلك في أمر أبدا وكما تريدنى سأكون". عندها ابتسم "محمد" وعلم أنه أحسن الاختيار وقبل جبين زوجته وضمها لصدره. لقد علم "محمد" عندها قيمة أن يكون للانسان زوجة صالحة.

لقد كانت بداية رائعة وأروع ما فيها الاتفاق، فالاتفاق بين الزوجين هو عامل أساسي لتكتمل العلاقة فيما بينهما ولتعمر طويلا، لقد كانت "ياسمين" مفتاحا لباب الحياة السعيدة ورزقا جديد يدخل بيت "محمد" وفرحا ليس بعده فرح، كانت مرحبا بها من جميع من في البيت وكانت "جليلة" تحبها حبا جما وكأنها تعرفها منذ زمن فقد دخلت قلبها ولن تخرج منه أبدا. في صباح اليوم الأول من الزواج السعيد استيقظت "ياسمين" لترى بجانبها زوجها وقرت عينها ومن تمنته منذ وقت بعيد فقد كان "محمد" نائما ولم يستيقظ بعد. "محمد.. محمد.. استيقظ يا زوجي الغالي استيقظ يا محمد". محمد الذي كان يريد أن يكمل نومه ولكن من ينام وبجانبه زوجة يحبها وتحبه؟ فقد قام "محمد" من فراشه ليجد هذا الوجه الملائكي تقول له بكل رضا: "صباحك سعيد يا زوجي". "صباحك فل وياسمين يا ياسمين".

"سأجهز لك الفطار حالا". "لقد شبعت بعد أن رأيتك فلا تحرميني من وجهك ودعكِ من الطعام والشراب الآن". تبسمت "ياسمين" وهي تسمع هذه الكلمات ومن يقولها لها إنه "محمد" زوجها وحبيبها ولكن حياءها كان حاضرا فهي لم تتعود على كلمات مثل هذه حتى وإن كان زوجها قامت من جانبه وهي تبتسم ثم نظرت إليه قبل أن تخرج: "دقيقة واحدة ولن أتأخر". تبسم "محمد" وهو يحمد الله في داخله الذي رزقه زوجة كهذه.

الفصل السابع

سراب

لقد بدأ "محمد" حياة جديدة وعاش مع زوجة غيرت حياته، الآن ذاق طعما جديدا للسعادة أنساه كل الهموم التي خيمت على قلبه أياما طوال لا تريد أن ترحل عنه، لقد نفذت "ياسمين" وصية أخيها حرفيا ولم تحيد عنها، كما أنها أحبت "محمد" وأحبها هو كذلك حبا جما، وعلم أن المكان وحبه أو كراهيته ترجع إلى الاشخاص الذين يسكنوه، وبعد أن كان كارها القرية وما فيها ويريد أن يتركها ويبتعد عنها ويجد لنفسه عالما جديدا يجد فيه ما يتمناه والإمكانيات التي يرغب فيها على الرغم أن العالم البديل هي المدينة وعلى الرغم انها فيها الكثير من العيوب التي تفوق المميزات لكنه كان ينظر إلى المدينة من الجانب الإيجابي فقط ويتغاضى عن جانبها السلبي ولم ينظر إلى القرية هذه النظرة الإيجابية يوما ما، لقد أراد أن يقنع نفسه أن المدينة هي أرض تحقيق الأحلام وهى بداية لحياة الرفاهية، ولكن بعد أن تزوج "ياسمين" وملأت كل أركان حياته حتى إنه صار يكره البعد عن القرية ولو لوقت قليل فقد أصبح المكان عنصرا لا أهمية له في تحقيق السعادة، فيستطيع الإنسان أن يسكن كهفا مظلما في صحراء خالية مادام يسكن مع من يحب.

وبعد عام من الزواج السعيد انعقد في المدرسة المؤتمر السنوي الذي عقد العام الماضي ولكنه كان هذا العام تحت عنوان" التعرف على المدينة والقرية عيوبا ومميزات"، وكان "محمد" مقدم فقرات المؤتمر ولكن المنظم له هذا العام الأستاذ "عليّ" واكتفى "محمد" بإلقاء كلمة بسيطة فعندما جاء دوره لإلقاء الكلمة تقدم المنصة قائلا "الذي يتحدث إليكم الأستاذ محمد متولي وأنا مدرس بهذه المدرسة وأسكن هذة القرية وقبل عام من هذا اليوم كنت لا أرى في القرية إلا المساوئ والعيوب ولا أرى في المدينة إلا الرفاهية والحياة الطيبة وكنت ممن يفضل العيش في المدينة والهجرة إليها ولكن اكتشفت مؤخرا شيئا لم أعرفه طوال حياتي هو أن الانسان يستطيع أن يجعل من الصحراء الجرداء جنات خضراء لا مثيل لها، لكن المهم في الأمر الإرادة يقبل بالمكان المتواضع في كل شيء مادام هناك من سيساعده ويشجعه على ذلك، أقف اليوم وأنا أطلب من المسئولين عنا أن يساعدونا لنرتقي بهذه القرية ونصلح ما فسد فيها، نحن الشباب نريد لقريتنا مستقبلا مرموقا ولا يقل إشراقا عن مستقبل المدينة والأمر يرجع لكم فساعدونا حتى لا تموت الزهرة القروية عطشا وأمدوها بالماء". قام الجميع من مقاعدهم وصفقوا تصفيقا حارا، وأثناء تصفيقهم خرج أحد المسئولين الذي جاء من المدينة ليستمع لهذا المؤتمر واعتلى المنصة وأمسك بالمكبر قال: "لقد سمعت كلمتك أستاذ محمد وأعلم أننا قصرنا في حقكم كثيرا، وبعد أن رأيت فيكم هذه الهمة العالية أبشركم بأمر عزمنا عليه منذ المؤتمر السابق واليوم جئت لأعلنه أمامكم، فقد تقرر أن تكون

الوحدة الصحية الخاصة بالقرية مجهزة خلال أيام وتظل تعمل على مدار الأربع وعشرين ساعة دون انقطاع وهناك مشاريع تنتظر القريه ولكنها تحت الدراسة وسترونها قريبا".

صفق الجميع فقد عاد الأمل في مستقبل لقريتهم وبالفعل أيام وكانت الوحدة مجهزة ونفذت مشاريع أخرى فيما بعد وكلما تحقق مشروع أيقن "محمد" أنه أخطأ عندما كان يبحث عن عالم مشرق يحقق فيه حلمه ويستقر به ولم يكن يدري أنه يمتلك هذا العالم. لقد فتحت "ياسمين" الباب له وأكمل هو ليرى في القرية مستقبله المفقود ويعيش فيها أفضل أيام حياته.

الخاتمة

كل ما أردت أن أقوله لك أيها القارئ إن أشياء كثيرة أقنعنا أنفسنا بأنها لن تتحقق إلا إذا ارتبطت بظروف وأشخاص معينين ولكن إرادتك بها تستطيع تحقيق الكثير ولا تجعل لسراب معين أن يكون حاجزا بينك وبين تحقيق حلمك، لا تحدد نجاحك وفشلك حسب المكان فالمكان وسيلة وليس غاية في ذاته، فقد كانت الأيام كفيلة لتثبت لمحمد ولأمثالة من الشباب أن المكان ليس إمكانيات أو رفاهية زائدة المكان بالبشر الذين يسكنونه وبالإرادة التي بداخلهم. فقبل عام كان "محمد" يتمنى العيش في المدينة واليوم لم يعد يفكر فيها وعشق القرية والعيش فيها، أحيانا نقنع انفسنا أن أحلامنا لن تتحقق إلا في مكان معين وبتوافر بعض الظروف لكن نكون على خطأ، فربما ما نراه من بعيد ماء عندما نقترب منه لا نجده شيئا وما هو إلا سراب صدقته عقولنا لعطشنا فسرنا خلفه دون أن نفكر، فقد كان "محمد" مقتنعا بأن المدينة هي حبل النجاة بالنسبة له ولن يتغير أمره ولن يشعر بتحسن في حياته إلا إذا عاش فيها وأصبح فردا من ساكنيها، ثم اكتشف أن حياته تغيرت وأصبحت أفضل كثيرا وهو مازال في القرية ولم يتركها بعد، وأصبحت القرية مكانه الأفضل فقد كان ذلك الأمر درسا لن ينساه طيلة حياته.